دور المرأة الأوربية العسكرى في الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٩١م) (*)

د/ محمد عبد النعيم محمد عبده
كلية الآداب – جامعة القاهرة

المرأة الأوربية والحملة الصليبية الأولى:

على الرغم من أن خطاب البابا أوربان الثانى Urban II[١]. فى كليرمونت Clermont[٢]. عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م الذى دعا فيه للقيام بالحرب الصليبية الأولى، كان خالياً من دعوة النساء للمشاركة فى الحرب المقدسة، إلا أنه لم يتوقع مشاركة المرأة فى هذه الحملة، والمؤرخون الذين سجلوا خطبته فى كليرمونت[٣]. يذكرون أنه منع النساء من المشاركة فى الحرب الصليبية[٤].

فأوربان الثانى ومعاصروه أرادوا أن تكون هذه الحملة خالصة تضم الرجال فقط، ولكن من الصعب عليهم منع النساء والأطفال وكبار السن والمرضى الذين نذروا أنفسهم إلى الذهاب للأراضى المقدسة والانضمام للمقاتلين[٥].

وتصف كتب المؤرخين والحجاج الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى، مناظر مروعة تدل على هجر الرجال زوجاتهم، بينما تتحسر الزوجات أسفاً على فقدان الصحبة وحماية رفقائهن[٦].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره فوشيه الشارترى حيث يقول: "آواه ! يالله من حزن، ويا لها من زفرات ونحيب وبكاء، ويا له من أسى بين الأحباء والأصدقاء، حين يترك الزوج زوجته الحبيبة، ويترك أطفاله وممتلكاته مهما

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠١٩، الجزء الأول، العدد ٥٥.

كبرت، وحين يترك المرء أباه وأمه وأخوته، وغيرهم من الأقارب.

ولكن مهما كانت الدموع التى ذرفها الباقون من أجل أحبائهم الراحلين، فإن أحداً لم يتقاعس عن الرحيل لأنهم كانوا يتركون كل ما تركوه فى سبيل حب الرب، لأنهم كانوا مقتنعين تماماً بأنهم سينالون أضعافها مائة مرة حسبما وعد الرب محبيه".

ثم يصف لنا فوشيه مشاعر زوجه تجاه زوجها الذى سيتركها ويذهب إلى الحرب المقدسة فيقول:

"ثم أخبر الزوج زوجته عن الوقت الذى يتوقع أن يعود فيه، مؤكداً أنه إذا نجا بفضل الرب فسوف يرجع إليها، فقد تركها فى رعاية الرب، ثم قبلها، وحين بكت وعدها بأن يعود، أما هى، فقد خشيت ألا تراه ثانية ولم تتمالك نفسها، فسقطت على الأرض مغشياً عليها تنعى حبيبها الحى كما لو كان ميتاً، أما هو فقد ظهر عليه التأثر لبكاء زوجته ولكنه أخفاه، ولم يبد عليه الشعور بالحزن والألم لحزن أصدقائه، ومع ذلك فإنه كان يعانى هذه المشاعر فى السر، ومضى فى طريقه عاقداً العزم على الرحيل"[٧].

ولكن فى الحقيقة لم تقتصر الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦م على الرجال فقط، ولم تقبع كل النساء فى بيوتهن بعد رحيل الرجال للشرق، فقد ضمت جيوش الحملة الصليبية الأولى أعداداً كبيرة من النساء من مختلف مستويات المجتمع صحبت الفرسان الصليبيين[٨]. فهناك زوجات رافقن أزواجهن وراهبات وخادمات وعاهرات ونساء ذات وضع مبهم[٩].

وقد أشارت آنا كومنينا إلى مشاركة فرنجيات عديدات فى الحملة الصليبية الأولى[١٠].

ويذكر سميث أن النساء قدمن الأموال وساعدن فى بيع ممتلكاتهن للأديرة من أجل الذهاب إلى بيت المقدس ليس فقط لتكفير الذنوب، بل من أجل المشاركة فى القتال فى الحرب المقدسة[١١].

وبذلك يعتقد أن الصليبيين خططوا منذ البداية للاستقرار والاستيطان فى الشرق، مما دفع الكثير من نساء الفرنجة الصليبيات[١٢] إلى البقاء مع أزواجهن ليتناسلوا على هذه الأرض، ليضمنوا لهم البقاء، مما شجع نسائهم على الهجرة إلى الشرق طيلة فترة وجودهم فى تلك الفترة التى دامت أكثر من قرنين منذ أواخر القرن الحادى عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى[١٣].

وقد اختلف الباحثون الغربيون حول أسباب خروج المرأة وانضمامها للحملة الصليبية الأولى، فمنهم من أرجع ذلك إلى أسباب اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو عسكرية، بما أن فرنسا وهى الوطن الأم التى خرجت منها الحملة الصليبية الأولى، كانت خارجة من أزمة الجفاف والقحط، فأردن استبدال معيشتهن والحصول على حياة أفضل للعيش[١٤].

وعلى أية حال فإن القانون الكنسى يؤيد حق المرأة فى تولى نذر الحرب الصليبية ولكن اشترط أن يرافقها أحد أقربائها من الذكور لحمايتهن[١٥].

وقد أخذت الحماسة الدينية كثيراً من النساء الأوربيات لدرجة أن بعضاً من النساء الحوامل خرجن بصحبة جيوش الحملة الصليبية الأولى، غير عابئات بما يواجهن من متاعب الطريق، ويشير وليم الصورى إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء النسوة الحوامل، وضعن حملهن قبل موعدهن، فى أثناء عبورهن آسيا الصغرى، فى المنطقة الواقعة بين بثينيا[١٦]. وبيسيديا Pisidia[١٧] نتيجة العطش الشديد والحرارة المستمرة، ونتيجة عدم قدرتهن على المشى "تدحرجن على طول الطريق، غير مباليات بجنسهن، لقد تدحرجن وهن نصف عاريات، يشغلهن خطر الموت الوشيك، أكثر من المحافظة على الاحترام اللائق بأنوثتهن"[١٨].

وقد لعبت المرأة الأوربية دوراً بارزاً فى الحرب الصليبية تتمثل فى جوانب عدة، ومنها ما قدمته للجنود الصليبيون من العديد من الخدمات، فكن يساعدن المحاربين فى أثناء المعركة، ويحضرن لهم الطعام والماء، ويسعفن الجرحى،

ويستحثهم على القتال، هذا بالإضافة إلى تلبية احتياجاتهم ومطالبهم الجنسية[١٩].

وقد سجل صاحب كتاب أعمال الفرنجة عن مشاركتهن فى أثناء حصار نيقية[٢٠] عام ١٠٩٧م بقوله: "وقد أسدين إلينا فى ذلك اليوم معونة عظمى ويداً مشكورة إذ حملن الماء لرجالنا ليطفئوا ظمأهم ولم ينقطعن عن حثهم على القتال والدفاع"[٢١].

كذلك يتحدث وليم الصورى عن الجمع الغفير من الصليبيات اللاتى قتلن فى أثناء زحف الصليبيين فى آسيا الصغرى[٢٢] وأن عدد الذين حاصروا أنطاكية[٢٣] كانوا ثلاثمائة ألف محارب، إضافة إلى النسوة والأطفال"[٢٤].

كما أشار فوشيه الشارترى إلى مقتل عدد كبير من النساء الصليبيات فى أثناء المعارك التى دارت بين المسلمين والصليبيين، فى الأحداث التى صاحبت هجوم المسلمين على الصليبيين فى مطلع عام ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م قبيل استيلاء الصليبيين على طرسوس[٢٥].

كذلك وجود أعداد كبيرة من النساء الصليبيات فى معركة الرملة الثالثة عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م[٢٦]. ومن خلال هذه الروايات تبين مشاركة النساء الأوربيات فى القتال منذ قدومهن للشرق، فلم تتوقف النساء عن حث أزواجهن والأمهات أولادهن ليكرسوا أنفسهم للمشاركة فى الحملات الصليبية.

والمعروف أن نساء أوربيات قدمن بصحبة أزواجهن من أجل تقديم الخدمات والرعاية الزوجية التى لا يمكن الاستغناء عنها[٢٧]، وكذلك ليساهمن فى الحرب[٢٨]، ويشير المؤرخون الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى إلى النساء الصليبيات اللائى كن بصحبة أزواجهن فى الحملة الصليبية الأولى، وحضرن حصار أنطاكية فقد تحدث فوشيه الشارترى عن زوجة الأمير ريموند الصنجيلى، والتى صحبت زوجها خلال الحملة الصليبية الأولى، واستمرت بجواره خلال أحداث تلك الحملة[٢٩].

كذلك كان بصحبة الأمير بلدوين البولونى زوجته الإنجليزية غوتيرا Guteree أو جودهيلد Godhilde والتى توفيت قبل استيلاء الصليبيين على أنطاكية، وزوجة الأمير بوهيموند النورمانى الكونتيسة كونستانس بنت فيليب ملك فرنسا (ت ١١٠٨م) والتى أنجبت له أبنه بوهيموند الثانى الذى ورثه فى حكم أنطاكية[٣٠].

- **دور الأميرة أديلا زوجة ستيفن كونت بلوا فى الحملة الصليبية الأولى:**

ومن أبرز الأمثلة على دور المرأة الأوربية فى تحفيز النبلاء والفرسان الصليبيين وإثارة حماستهم للقتال والاشتراك فى هذه الحرب المقدسة ما قامت به الأميرة أديلا Adela زوجة الأمير ستيفن كونت بلوا Stephen of Blois[٣١]، الذى شارك فى الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦م، وكان يكتب لها الرسائل عن أوضاع الحملة[٣٢].

فإذا به يترك الحملة فى أثناء حصارها لمدينة أنطاكية عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م ويعود لأوربا بعد أن رأى صعوبة الموقف وما لاقاه الصليبيون فى أثناء الحصار من شدائد هناك، فما كان من زوجته التى بلغ من شدة خجلها وامتعاضها، أنها لم يطمئن لها بال حتى بعثت به مرة أخرى إلى الشرق ليشترك فى حملة صليبية جديدة[٣٣].

ونظراً لأهمية الدور الذى قامت به هذه السيدة سنحاول إلقاء مزيد من التفاصيل عن قصة هذه الأميرة مع زوجها ستيفن كونت بلوا، فقد كانت هذه الأميرة شديدة التعصب، متقدة الحماس لم تتوجه إلى الشرق مع "الحجاج" الصليبيين، ولكن أفعالها أدرجت أسمها مع بطلات الصليبيين، وأديلا هى ابنه وليم الفاتح William the Conqueror (ت ١٠٨٦م) دوق نورمنديا Normandy الذى فتح إنجلترا سنة ١٠٦٦م، واستولى على عرشها[٣٤].

تزوجت أديلا من الكونت ستيفن كونت بلوا سنة ١٠٨١م، ولما غادرت جموع الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، انطلقت آخر القوى المشاركة فيها

بقيادة روبرت بن وليم الفاتح[٣٥]، دوق نورمنديا فى أكتوبر سنة ١٠٩٦م، على رأس جيش كبير من الإنجليز والنورمان، ورافقه فى هذه الحملة عدد من النبلاء منهم صهره، زوج أخته آديلا، ستيفن كونت بلوا[٣٦].

وبعد سنة على انطلاق هذه الحملة، اجتمع الصليبيون على حصار أنطاكية فى أكتوبر ١٠٩٧م، وقد طال حصار هذه المدينة وامتد حتى آخر يونية ١٠٩٨م، وواجه الصليبيون خلال فترة الحصار العديد من المصاعب، أهمها المجاعة التى اضطرتهم إلى أكل الأطعمة القذرة والحيوانات النافقة[٣٧].

وبحجة طول فترة الحصار وصعوبة الظروف رأى بعض القادة ومنهم ستيفن كونت بلوا أن يعودوا إلى بلادهم، وغادروا قبيل سقوط أنطاكية بأيدى الباقين بقليل، وقد سجل فوشيه الشارترى أسفه وحزنه لمغادرة ستيفن ميدان المعركة، وذكر نبله وعراقته وشدة بأسه، ولكنه عبر بوضوح عن احتقاره له بسبب مغادرته حيث يقول:

"ثم ترك ستيفن بلوا الحصار وأبحر إلى دياره فى فرنسا وقد أصابنا جميعاً الأسى لذلك، لأنه كان رجلاً عريقاً نبيلاً شديد البأس، وفى اليوم التالى لسفره استسلمت أنطاكية للفرنجة، ولو أنه ثابر لأصابه فرح عظيم مع الآخرين، إذ أن فعلته جلبت عليه الاحتقار فالبداية الحسنة لا تجد المرء إن لم ينته نهاية حسنة"[٣٨].

وأما وليم الصورى فقد حمل على ستيفن كونت بلوا، وأفاض فى ذمة ورماه بالجبن والكذب وإدعاء المرض ليعود إلى بلاده، ملحقاً العار بسمعته وسمعة عائلته، وأضاف فى سياق هجومه عليه أنه لم يكتف بما فعل فقط، بل ذهب لمقابلة الإمبراطور البيزنطى (ألكسيوس كومنين)، الذى كان عقد العزم على قيادة جيشه والتوجه إلى أنطاكية للمساعدة فى الإستيلاء عليها، فألقى ستيفن خطاباً أمامه بالغ فيه فى وصف الحالة السيئة للصليبيين، فأوهن بتخاذله عزم الإمبراطور، فغير رأيه[٣٩].

لم يكن ستيفن موضع احتقار مؤرخى الصليبيين فقط بل عاش واقع الاحتقار من جانب زوجته الأميرة أديلا، التى شعرت هى نفسها بالخزى والعار من فعل زوجها، الذى نكث عهده وحنث فى يمينه، وفر جبناً وخوفاً من مواجهة المسلمين، فقد كذب وادعى المرض وعاد إلى فرنسا، بينما كان رفاقه يشقون طريقهم بحد السيف ويحققون الانتصارات والمكاسب، فبلدوين Baldwin أصبح أميراً للرها، وبوهيموند Bohemond أصبح أميراً لأنطاكية، وجودفرى Godfrey أصبح حاكماً للقدس(٤٠).

لم تستسلم أديلا للأمر الواقع بل راحت تقنع زوجها بضرورة العودة إلى الديار المقدسة لينقذ سمعته وسمعة عائلته من العار الذى تلطخت به جراء فعلته، وأخذت تلح عليه فى هذا الأمر الخطير حتى فى حجرة نومهما، علّه يمحو ما لحق به من عار.

ولم يكن ستيفن ليجرؤ على الإدعاء بأن وجوده ضرورى فى أملاكه، لأن أديلا كانت هى الحاكم الفعلى لها، وأخيراً وتحت ضغوط أديلا وإلحاحها عاد ستيفن إلى الشرق فى ربيع سنة ١١٠٢م، وقد لحق بمملكة القدس اللاتينية، واشترك مع الملك بلدوين الأول(٤١)، (١١٠٠-١١١٨م) فى هجومه الثانى على الرملة(٤٢). فى مايو ١١٠٢م (شعبان ٤٩٥هـ) وقد هرب الملك الصليبى، وأوقع المسلمون بقيادة شرف المعالى بن الوزير الفاطمى الأفضل بالقوة الصليبية وأمعنوا فيها قتلاً(٤٣).

فكان ستيفن كونت بلوا من بين القتلى. وبعد مقتل ستيفن فى موقعة الرملة الثانية تغير الموقف تجاهه كلياً، فالذين هاجموه بعد فراره رثوه وأسفوا لمقتله، ففوشيه الشارترى يقول فى ذلك: "آه كم خسرنا من النبلاء وشجعان الفرسان فى تلك الكارثة خسرناهم فى الاشتباكات الأولية ثم أثر ذلك فى البرج السابق الذكر، فقد قتل ستيفن بلوا الرجل الشجاع النبيل، وستيفن الآخر كونت بيرجندى(٤٤).

وكما كان هجوم وليم الصورى على ستيفن أعنف، جاء رثاؤه له أبلغ، حيث يقول: "سقط الستيفنان فى ذلك الاشتباك مع نبلاء آخرين لا نتذكر أعدادهم وأسماءهم، ونشعر أن المصير الذى لاقاه الكونت ستيفن أوف شارتر[٤٥]. وهو النبيل البارز بين شعبه بسبب نسبه المشهور وبسبب أعماله المجيدة كان مصيراً جديراً بالتهنئة، فمن الواضح أن الرب عامله تبعاً لرحمته الواسعة، لأنه سمح له أن يمحو بموت رائع وصمه العار التى وصم اسمه بها بسلوكه عندما تخلى عن القوات أمام أنطاكية.

وينبغى عدم إثارة أثمه السابق ضده لأنه أنقذ سمعته بمثل هذه النهاية الرائعة ونعتقد بالفعل أن الذين يسقطون فى صفوف المؤمنين ويقاتلون مع المحاربين من أجل الصليب ومن أجل إسم المسيح لا يستحقون أن يمحى الخزى من سجلاتهم فحسب بل جميع أعمال التقصير والآثام مهما كان نوعها"[٤٦].

وأما أديلا، هذه الأميرة الصليبية بالإنابة، بالغة الحماسة والتعصب فقد بدلت خزيها تيهاً وفخراً، وهدأت بالاً وقرت عيناً بعد مقتل زوجها فى ساحة المعركة، واستطاعت بعد ذلك أن تنام هادئة مطمئنة قريرة العين[٤٧].

وقد استمر حماس الأميرة أديلا للحركة الصليبية، واستمرت علاقاتها بزعماء الحركة وأمرائها بعد مصرع ستيفن، فعندما عاد أمير أنطاكية، بوهيموند الأول إلى أوربا فى خريف سنة ١١٠٤م، التقى أديلا، وقدمته إلى أخيها الملك هنرى الأول Henry I ملك إنجلترا (١١٠٠–١١٣٥م) الذى أمده بعدد من الفرسان، ورتب له زواج تحالف سياسى من الأميرة كونستانس Constance، إبنه الملك الفرنسى فيليب الأول Philip I (١٠٦٠–١١٠٨م) التى أنجبت له فى السنة التالية ابنه ووريثه بوهيموند الثانى[٤٨].

وبالعودة إلى مقتل ستيفن فى ساحة المعركة فقد صار مجداً مضافاً لأديلا ابنة وليم الفاتح، ولابنها الذى حمل إسم أبيه نفسه، ستيفن، وورث كونتيه

بلوا، حتى كان أحد الأقطاب المرشحين للعرش الإنجليزى بعد خاله هنرى الأول، وقد فاز به وارتقى العرش الإنجليزى تسعة عشر عاماً (١١٣٥-١١٥٤م) [٤٩].

- **مشاركة المرأة الأوربية فى العمليات العسكرية:**

أما عن مشاركة المرأة الصليبية فى العمليات العسكرية إلى جانب الجيش فى أرض المعركة، منذ قدومهم إلى الشرق، فقد أثارت تلك القضية جدلاً لدى الباحثين الغربيين وعلى رأسهم "هيلين نيكلسون" حيث استبعدت مشاركة المرأة فى الأمور العسكرية، المتمثل فى حمل النساء للأسلحة ولبسها للخوذة والدروع[٥٠]، وركوبها للخيل، ولكنها توافق على أن المرأة قامت بالمشاركة حسب ما يوافق أنوثتها، ولكن فى الحالات الضرورية القصوى.

إذ تقول أن جسم المرأة ضعيف لا يستطيع أن يتحمل مثل تلك الأسلحة الثقيلة، معتمدة فى تفسيرها على صمت المصادر الغربية المعاصرة عن ذكر تلك الوقائع التى تؤكد مشاركة النساء فى القتال إلى جانب الرجل فى أثناء حصار عكا ٥٨٦هـ/ ١١٨٩م[٥١].

ولكن ميغان ماكلوجين قد اختلف عنها فقد أشار فى مقالته "المرأة المحاربة" أنه وجد عدداً مذهلاً من النساء الأوربيات فى العصور الوسطى، قد تم وصفهن بالمحاربات فى مراجع العصور الوسطى، واستخدام كلمة "محاربة" للدلالة على اشتراك الإناث شخصياً فى الأعمال العسكرية، وكمشاركات نشيطات فى الحرب، من خلال لبسهن للدروع وتسديدهن للضربات فى أرض المعركة، حيث يقول أنه تم وصفهن أحياناً من قبل المؤرخين بأنهن نساء محاربات شاذات.

واستشهد بقوله بعدة أدلة لها علاقة بحالات الطوارئ مثلاً: نساء دافعن عن القلاع فى حالة غياب أزواجهن، وبعض النساء انتزعن السلاح للدفاع عن منازلهن عند تهديد الغزاة[٥٢]. وما وصفه أيضاً رنسيمان عن شجاعة النساء

الأوربيات بقوله: "فإنهن ضارعن أزواجهن وإخوتهن فى الشجاعة، فكم امرأة نبيلة تم الإلتجاء إليها لتولى الدفاع عن قلعتها أثناء غياب زوجها"(٥٣).

ومن الخدمات التى قامت بها نساء الفرنجة فى المجال العسكرى أنهن قدمن المساعدة فى التحضير للهجوم فى أثناء الحصار لمدينة القدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ويوضح ألبرت آخن مؤرخ الحملة الصليبية الأولى كيف تم جمع النساء والأطفال والمشتغلين فى أدوات الحصار فى مكان واحد، وبدؤا بصنع مواد لحماية أبراج الحصار والآلات الأخرى من نيران المسلمين(٥٤).

وقد يتفق ذلك القول مع بعض الروايات التى ذكرت فى المصادر العربية، خاصة أن بعض المؤرخين المسلمين لم يعاصروا الحروب الصليبية فحسب، بل شاهدوها بالعيان أو ساهموا فى مجريات أحداثها، كما أنهم عايشوا الصليبيين وعرفوهم عن قرب، فجاءت معظم النصوص التى أوردوها فى مصنفاتهم عن طريق المشاهدة والمعاينة الميدانية، أو فى أقل الأحوال السماع المباشر الموثوق فى صحته(٥٥).

مما يجعل اللوحة التى رسموها عن الصليبيين ونساءهم أكثر دقة ووضوحاً، وقد أثرتنا المصادر العربية كثيراً فى ذلك المجال، حيث سلطت الكتابات الإسلامية الأضواء على الأدوار العسكرية التى أدتها المرأة الإفرنجية من خلال مشاركتها فى القتال إلى جانب الرجال، وفى هذا السياق يذكر ابن الأثير فى سياق الأحداث التى أعقبت سقوط القدس بيد المسلمين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وتحركهم لمحاصرة عكا(٥٦). أن الفرنج عظم عليهم ذلك الأمر، فأخذوا يحشدون الحشود ويجندون أنفسهم "فحشروا وحشدوا حتى النساء".

وعند سيرهم لمحاصرة عكا كان من ضمنهم النساء الصليبيات اللواتى "يبارزن الأقران"(٥٧). ويذكر ابن واصل شيئاً عن ذلك حيث يشير إلى مشاركة النساء الصليبيات فى وقعة عكا العظمى فى القتال: "خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسرن إلى الشام متجهزات"(٥٨).

ويوضح ابن كثير فى ذلك الصدد "أن الفرنج خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزوانى والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات"(٥٩).

كما ذكر ابن خلدون عن خروج النساء للقتال فى أثناء الحملة الصليبية الثالثة قوله: "فحتى النساء اللواتى يجدن القوة على الحرب"(٦٠)، وهذه الرواية تؤكد خروج النساء اللواتى تمرسن على القتال.

وقد لفتت مشاركة المرأة الأوربية فى الحروب انتباه المؤرخ الأصفهانى، فخصص لها حيزاً هاماً مشيراً إلى أن النساء الإفرنجيات كن يقتدين بالفرسان ويقاتلن، فلا يرتدين إلا السوابغ فى أثناء الحروب، وهو ما عبر عنه الأصفهانى بقوله: "وفى الفرنج نساء فوارس، لهن دروع وقوانس"(٦١)، وكن فى زى الرجال، ويبرزن فى حومة القتال، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال، وكل هذا يعتقدنه عبادة، ويخلن أنهن يعقدن به سعادة، ويجعلنه لهن عادة"(٦٢). وفى إشارة أخرى إلى فعالية مشاركة نساء الفرسان من الفرنجيات، ذكر دورهن فى المعركة حيث يقول: "وفى يوم الوقعة قلعت منهن نسوة، لهن بالفرسان أسوة، وفيهن مع لينهن قسوة، وليست لهن سوى السوابغ كسوة، فما عرفن حتى سُبلن وعرين، ومنهن عدة استبين واشترين"(٦٣).

وقوله أيضاً: "ألقت الريح إلى ساحل الزيب(٦٤). بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء وفيها امرأة محتشمة، غنية محترمة، فأخذتا وأخذوا وأخذت، وجد الفرنج فى استنقاذها فما استنقذت"(٦٥).

ويتفق ذلك القول مع ما ذكره المؤرخ الصليبى المجهول صاحب كتاب "صلاح الدين وسقوط بيت المقدس": "حتى النساء حاربت كالرجال بجانب إخوتهن فى السلاح، ولم يتوقفن إلا بعد أسرهن، كان يوم الأبطال والنساء الجبارات "Amazons"(٦٦).

وهذا يدل على أن الحرب الصليبية كانت حرب جماعية شاملة اشترك

فيها كل الطبقات من أوربا الملوك والأمراء والنبلاء حتى النساء شاركن فيها على اختلاف طبقاتهن، وخروجهن بنية القتال ضد المسلمين(٦٧).

ويتبين دور المرأة الصليبية عسكرياً أيضاً من خلال الدفاع عن الحصون والقلاع، ومن ذلك ما حدث فى عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م قبيل معركة حطين عندما قامت أشيفا Eschiva صاحبة طبريا(٦٨)، زوجة "ريموند الصنجيلى(٦٩)، بالدفاع عن مدينة طبريا فى أثناء محاصرة صلاح الدين لها، فدخلها صلاح الدين وأحرقها، فاحتمت فى قلعتها هى وبنوها(٧٠)، فيقول رنسيمان: أنها استماتت فى الدفاع عن قلعتها بكل بسالة(٧١).

وطلبت نجدة من الملك الصليبى، وبعد ذلك طلبت الأمان لنفسها ولولدها ولمالها، فأجابها ووفى لها بذلك فلحقت بزوجها فى طرابلس(٧٢).

وقد ذكر العماد الأصفهانى تلك الواقعة فى كتابه الفتح القسى حيث يقول: "وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته، ونقلت إليه كل ما ملكته وحوته، فأمنها (صلاح الدين) على أصحابها وأموالها، وخرجت بنسائها ورجالها ورحالها، وسارت إلى طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها"(٧٣).

ومن الأدوار التى أدتها المرأة الصليبية فى القتال أنها قامت بمحاولة الدفاع عن مدينة القدس قبيل تسليمها إلى صلاح الدين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وفى داخل المدينة كانت الملكة "سيبلا" تتولى أمور الدفاع عن المدينة ومعها البطريرك الكاثوليكى "هيراكليوس"، والأمير "باليان" وتشجعهم على الصمود ومقاومة الحصار الذى فرضه صلاح الدين، حيث لجأت النساء الصليبيات من الطبقة الأرستقراطية، بتوجيه من "سيبلا" إلى طقوس غريبة أملاً فى أن تنجى الصليبيين من مصيرهم الذى بات واضحاً.

فقد قامت سيدات الطبقة الراقية من الفرنج بحلق شعور بناتهن وجردنهن من الملابس، وأخذن فى الاستحمام علناً فى العراء فوق أحد التلال فى القدس(٧٤)، ولكن المدينة المحاصرة لم تكن بحاجة إلى مثل هذه الطقوس

العابثة، وإنما كانت بحاجة إلى الرجال المقاتلين والسلاح وإرادة القتال.

وقصة مارغريت من بروفانس التى قدمت إلى الأراضى المقدسة بصحبة أخيها، فى زمن حصار صلاح الدين لبيت المقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، فاشتركت فى الدفاع عن المدينة فشهدت تسليمها للمسلمين، ودفعت الفدية ومقدارها خمسة دنانير، ثم انطلقت إلى طرابلس، وشاركت مع المقاتلين فى حصار عكا عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، وتروى كيف وضعت الوعاء على رأسها لحمايتها وكانت تجلب الماء للرجال المحاصرين من قبل صلاح الدين عند أسوار عكا، فأصيبت بجروح نتيجة لتعرضها لسهم من سهام المسلمين، ثم وقعت فى أسر المسلمين(٧٥).

كما ساعدت نساء الفرنجة فى جر آلات الحصار وملئ الخنادق بالماء(٧٦)، فى أثناء حصار مدينة عكا(٧٧)، وفى حوادث سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، ذكر ابن الأثير بأنه شاهد بنفسه عند استيلاء صلاح الدين على حصن برزيه(٧٨). "ورأيت أنا من رأس جبل عال يشرف على القلعة، أمرأة ترمى من القلعة عن المنجنيق(٧٩)، وهى التى أبطلت منجنيق المسلمين، فلما رأى صلاح الدين أن المنجنيق لا ينتفعون به، عزم على الزحف"(٨٠).

لم يقتصر دور المرأة الصليبية على الشابات فى تقديم الدعم والعون للجنود، فكان لعجائزهم دور لا يقل أهمية فى الأمور العسكرية وهو رفع الروح المعنوية وتحريضهم على مواصلة القتال والحماسة فى نفوس المقاتلين، ولا يدعنِ فرصة لوجود الاستسلام مكاناً فى نفوسهم، بل كن يعتبرن المشاركة فى القتال عبادة، فقد تحدث المؤرخ العماد الأصفهانى عن ذلك بقوله: "وأما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز، وهن يشددن تارة ويرخين، ويحرضن وينخين، وقلن إن الصليب لا يرضى إلا بالإباء، وإنه لا بقاء له إلا بالفناء، وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الأعداء"(٨١).

وكما يقول بالدريك Baldric لعبت النساء أدواراً استراتيجية هامة فى رفع

معنويات الجنود المحاربين والتعاطف معهم من خلال الدعاء والصلاة لهم فى أثناء القتال[٨٢].

ولم تتوان نساء الفرنجة فى تقديم الدعم المعنوى للجنود وإثارة حماستهم للقتال، بل قامت بتجهيز أبنائها لقتال المسلمين، وهذا ما حدث فى الحملة الصليبية الثالثة وكما يقول ابن الأثير: "حدثنى بعض الأسرى منهم أن له والدة واحدة ليس لها ولد سواه، ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته، وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ بيت المقدس من أيدى المسلمين"[٨٣].

فهذه الرواية تدل على نموذج المرأة الصليبية المثابرة وعلى مدى إيمانها بقضيتها فهى تبذل الغالى والنفيس من أجل استرداد بيت المقدس[٨٤].

ومما يؤكد استخدام النساء الصليبيات فى المعارك ما كانت تعانيه مملكة بيت المقدس من نقص شديد فى القوة البشرية طوال مدة وجودها فى بلاد الشام، فقد أدى ذلك لانخراط النساء الصليبيات فى صفوف القتال إلى جانب الرجال[٨٥]، كذلك الدفاع بقوة من أجل الحفاظ على ما تبقى من كيانهم، وهى صورة تؤكد لنا أن الفرنجة فى بلاد الشام كانوا بحاجة لإمدادات كثيرة من الغرب أعقاب سقوط مملكة بيت المقدس.

وأثارت مشاركة النساء الصليبيات فى القتال اهتمام المؤرخين المسلمين، ليس فقط اشتراكها وإنما تمويلها للحروب الصليبية لما تحمله فى طياتها من ظواهر جديدة، فقاموا بتسجيلها، ومن ذلك أن امرأة كبيرة القدرة وافرة الوفر وهى ملكة فى بلادها، لم يذكر المؤرخون اسمها، قد وصلت إلى بلاد الشام عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وبصحبتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم وغلمانهم وقد تكفلت بجميع ما يحتاجونه من نفقات من مؤن وعتاد، وهو ما ذكره لنا الأصفهانى بقوله: "وهم يركبون بركباتها، ويحملون بحملاتها، ويثبون لوثباتها"[٨٦].

وذكر ابن واصل رواية أخرى: "ومنهن ملكه وصلت مع ملك الألمان

ذوات المقانع من الفرنج، مقنعات دارعات يحملن إلى الطعان الطوارق والقنطاريات، وقد وجدت فى الوقعات التى جرت، عدة منهن فى القتلى، فما عرفن حتى سلبن"[٨٧]، ويشير ابن الأثير إلى "خروج ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو ألف مقاتل، فأخذت بنواحى الإسكندرية، وأخذ من معها"[٨٨].

ويذكر المؤرخون المسلمون فى موضع آخر أنه كان من جملة الأسرى الذين أسرهم المسلمون فى موقعة عكا ثلاث نسوة كن يقاتلن فى زى الرجال، على ظهور الخيل، ولم يعرفن حتى سلبن ونزع عنهن السلاح وتم أسرهن وبيعهن[٨٩].

ويذكر ابن شداد فى روايته عن حصار عكا، الذى لم يكن هذه المرة شاهد عيان – بسبب مرض اعتراه – فنقل الخبر عن جندى شارك فى المعركة، أن امرأة إفرنجية كانت تقاتل المسلمين بضراوة، ويقول: "وكان داخل سورهم امرأة عليها ملوطة خضراء (أى عباءة)، فما زالت ترمينا بقوس من خشب حتى جرحت منا جماعة، وتكاثرنا عليها، وقتلناها، وأخذنا قوسها، وحملناها إلى السلطان فعجب من ذلك عجباً عظيماً"[٩٠].

كما يشير أمبرويز إلى قيام نساء الفرنجة بأعمال وحشية حيث حملن سكاكين كبيرة، وكن يمسكن بالأتراك الجرحى والأسرى فى عكا من شعورهم وينزلن بهم آلاماً مبرحة ومن ثم يقطعون رؤوسهم بالسكاكين[٩١]، وهذا يدل على الأعمال البربرية والتعصب الأعمى ضد المسلمين، كما يؤكد مؤرخو الحروب الصليبية بين الحين والآخر أن امرأة لقيت حتفها فى أثناء القتال[٩٢].

ومما يرجح على وجود نساء حملن السلاح وحاربن بقوة وشراسة مع الفرسان وجودهن بين القتلى فى أرض المعركة، وقد ذكر الأصفهانى: "ركبت أنا والقاضى بهاء الدين ابن شداد لمشاهدة القتلى وهم صرعى بعد موقعة عكا، ورأينا امرأة مقتولة لكونها مقاتلة وسمعناها وهى خامدة بالعبرة قائلة"[٩٣].

وهذه الروايات تدل على وقوع العديد من نساء الفرنجة فى أسر المسلمين

وحملهن إلى بلاد المسلمين، وهذا دليل آخر على مشاركة المرأة الأوربية فى العمليات العسكرية وأنه كان يتم أسرهن فى المعارك، وإلى جانب مشاركتها الجنود فى أرض المعركة والقتال فى صفوفهم كانت المرأة الصليبية تدافع عن نفسها فى الأمور الضرورية، ومن ذلك ما أشار إليه أسامة من منقذ(٩٤). فى كتابه "الاعتبار" إلى تلك المرأة الإفرنجية التى هاجمت رجلاً مسلماً، كان يعترض طريق الحجاج المسيحيين، وجرحته جرحاً عميقاً فى وجهه لتثأر لمقتل زوجها، فى أثناء تعرضه لحجاج الفرنجة، فكان رد فعل المرأة المذكورة ضرب المسلم بكوز خشب أصابته بجرح(٩٥).

وقد عرف عن المرأة الفرنجية ولاءها لقومها حيث روى أسامة بن منقذ لنا قصة عن تمسك المرأة الفرنجية بقومها وأهلها بأن جارية صليبية شابة تم سبيها من قبل الشيزريين، فأهداها والد أسامة إلى صديقه شهاب الدين مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر(٩٦)، وكتب إليه يقول:

"غنمنا من الأفرنج غنيمة قد نفذت لك سهما منها" فقبلها وأعجبته فتسررها "فولدت له ولداً أسماه بدران فمات والده فورث البلد والرعية وأمه الآمرة الناهية فواعدت قومها وتدلت من القلعة بحبل ومضى بها أولئك إلى سروج(٩٧). وكانت للإفرنج فتزوجت بإفرنجى إسكاف وإبنها صاحب قلعة جعبر"، أى أنها فضلت ذلك الإسكافى لكونه من دينها وجنسها على ابنها الأمير(٩٨).

وفى رواية أخرى عن عجوز صليبية أسرت مع إبنها وإبنتها الشابين وعاشوا فى دار والد أسامة فأسلم الشاب راؤول وحسن إسلامه من صلاة وصوم، ولما طال مقامه زوجه والد أسامة بإمرأة من قوم صالحين ورزق منها بولدين، ولما صار عمرهما خمس وست سنوات تخرج بهما أبوهما فأخذهما وأمهما وما فى بيته وخرج إلى أفامية الواقعة تحت حكم الصليبيين وتنصر هو وأولاده بعد الإسلام(٩٩)، وهكذا نرى أن غلبة طباع الفرنجة سادت عليهم وبالرغم من عيشهم مع المسلمين إلا أنهم بقوا متمسكين بموروثهم الدينى والاجتماعى.

ويؤكد جيمس باول فى دراسته للحملة الصليبية الخامسة على مصر أن ٣% من النساء اللواتى شاركن فيها كن معروفات بأسمائهن(١٠٠)، ويكشف لنا عن أدوار أخرى قامت بها المرأة الصليبية فى ميدان المعركة حيث يشير إلى أن النساء الصليبيات قدمن الدعم للجنود الصليبيين فى أثناء حصارهم لمدينة دمياط عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م الذى استمر أكثر من عام بقوله أن: "النساء اللواتى يجلبن الماء، دون خوف، والحجارة، والنبيذ والخبز للمحاربين"(١٠١).

ويولى باول عنايته بالأدوار الأخرى التى اضطلعت بها النساء الصليبيات فى الحملة الصليبية الخامسة، لا باعتبارهن مجرد مرافقات لأزواجهن وجلب المياه للجنود، ولكن أيضاً كطاحنات للحبوب، ومشرفات على الأسواق، وكن يبعن الأسماك والخضروات للصليبيين، وعملن كحارسات للمعسكر الصليبى لحفظ الأمن والنظام داخل المعسكر الصليبى، ولمنع الفرار فى أثناء استعداد الجنود لمحاصرة مدينة دمياط، وعملن كممرضات لإسعاف المرضى والمحتاجين، لما تعرضت له تلك الحملة من الأمراض الناجمة عن الأوبئة"(١٠٢).

كما ذكر جوانفيل فى مذكراته عن الحملة الصليبية السابعة على مصر، عند هجوم المسلمين على معسكر الفرنجة فى المنصورة عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، أن النساء تولين البيع فى المعسكر الصليبى حيث قمن بتحذير وإنذار الحامية الصليبية بهجوم المسلمين على المدينة فقمن بالصراخ(١٠٣).

دور مارجريت زوجة لويس التاسع فى الحملة الصليبية السابعة:

ومادمنا بصدد الكلام عن دور المرأة الصليبية فى الحملة الصليبية السابعة فلابد من تفصيل الحديث عن دور الملكة مارجريت دى بروفانس(١٠٤)، زوجة لويس التاسع ملك فرنسا، والتى صَحبت زوجها فى الحملة الصليبية السابعة على مصر، وقد حملت شارة الصليب هى الأخرى(١٠٥).

وكانت معه تسانده وتدعمه فى حملته، ويذكر جوانفيل – مؤرخ هذه

الحملة أن مارجريت كانت طوال إقامة زوجها فى الشرق – تقوم بدور المستشار الأول له، صاحبة الرأى المسموع فى الأمور كلها حتى لو كان رأيها مخالفاً لآراء مستشاريه[١٠٦]، حيث وصفها بأنها "سيدة أعمالها"[١٠٧].

ومن المعروف أن الصليبيين فى هذه الحملة استولوا على دمياط سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، لكنهم ظلوا ساكنين فيها قرابة خمسة أشهر قبل الشروع فى الزحف جنوباً تجاه المنصورة، وطوال تلك الفترة ظلت مارجريت توجه سياسة الملك حتى زحف على رأس جيشه إلى داخل البلاد[١٠٨].

ولعبت مارجريت فى دمياط دوراً هاماً حيث كانت حلقة الوصل بين الصليبيين فى الداخل والعالم الخارجى، حيث يروى جوانفيل أن الملكة منعت الرجال من البيازنة والجنوية من الهرب من مدينة دمياط، بسبب الجوع الذى لاقوه من قلة الأقوات وانتشار الأمراض حيث تعهدت بشراء الأقوات وكل ما يلزمهم من الأسواق، وأدخلتهم تحت نفقة الملك الخاصة[١٠٩]. وتفصيل ذلك أنه عندما غادر لويس وجيشه دمياط، تركوا بها البحارة الجنوية والبيازنة الذين كانوا مع الجيش الصليبى للدفاع عنها ولحراسة شواطئها ضد هجمات المصريين.

كانت بقيت مارجريت زوجة الملك لويس هناك، إذ كانت تعانى آلام الوضع، وقد حدث خلال إقامة الملكة والحامية الصليبية بدمياط ما حدث من معارك بين المصريين والفرنج، ثم تراجع الفرنج فى آخر الأمر صوب دمياط والقضاء على غالبيتهم فى فارسكور وأسر الملك وباقى رجال الجيش.

وقد وصل نبأ أسر لويس إلى زوجته قبل الوضع بثلاثة أيام، فتملكها الذعر واليأس، وعندما وضعت طفلها أسمته "يوحنا الحزين"[١١٠]، نظراً للظروف القاسية التى ولد فيها.

وحدث فى نفس اليوم الذى وضعت فيه الملكة أن أخبرها الجنوية والبيازنة الذين بدمياط أنهم عازمون على ترك المدينة والنجاة بأنفسهم حتى لا يصيبهم ما أصاب الجيش الملكى، وكان بقاء دمياط فى قبضة الصليبيين هو

الضمان الوحيد الذى يمكن بواسطته الحصول على حرية الملك ورجاله، لذا فإن تهديد أولئك البحارة بترك المدينة معناه ليس فقط مجرد ضياعها من أيدى المسيحيين بل وضياع كل أمل فى سبيل إطلاق حرية الأسرى وعلى رأسهم الملك لويس نفسه(١١١).

فاستدعت الملكة قواد الأسطول – وكان ذلك فى اليوم التالى لوضعها – وأخذت تثير فى نفوسهم الشعور بالواجب المقدس الملقى على عاتقهم بالمحافظة على المدينة، راجية منهم أن يبقوا بها حتى لا يعرضوا الملك الأسير وجيشه للهلاك.

فأجابوها بأنهم أوشكوا أن يموتوا جوعاً، وأنه ليس عندهم ما يسدوا به رمقهم، فابتاعت لهم حينئذ كل ما هم فى حاجة إليه من المؤن والأزواد الموجودة بدمياط، وأدخلتهم تحت نفقة الملك الخاصة، وسرعان ما عدلوا عن رأيهم وقرروا البقاء إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا.

وهنا نلاحظ تدخل المصالح المادية فى الحركة الصليبية، ولعل موقف البحارة الجنوية والبيازنة دليل كاف على ذلك، فقد غلبت على الجنوية والبيازنة الذين بقوا فى دمياط لحراستها، الصفة التجارية، ورأوا ألا يعرضوا أنفسهم للخطر عندما علموا بوقوع لويس التاسع ورجاله فى أسر المصريين، فنراهم يقررون ترك دمياط والنجاة بأنفسهم، ولم يعدلوا عن رأيهم إلا بعد أن ابتاعت لهم الملكة مارجريت كل ما هم فى حاجة إليه وأدخلتهم تحت نفقة الملك الخاصة، فقد كانت حرفتهم التجارة وهمهم الأول والأخير هو الكسب المادى(١١٢).

وهكذا لم تحافظ الملكة مارجريت على مدينة دمياط فحسب، إنما أنقذت الجيش الأسير من خطر محدق به، ضاربة أسمى مثل للصبر والثبات(١١٣).

وقبيل تسليم المدينة إلى المصريين وفقاً لشروط المعاهدة المبرمة بين لويس والأمراء البحرية، أبحرت الملكة مارجريت وجميع من كان بدمياط من

الفرنج – باستثناء المرضى والجرحى – إلى عكا حيث لبثوا هناك فى انتظار وصول الملك مع باقى القوات[١١٤].

وعندما تم الصلح مع المسلمين فى مصر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، أفرج عن لويس التاسع من محبسه بالمنصورة، غادر دمياط إلى بلاد الشام، حيث عزم على تجميع قواته هناك ومن ثم العودة إلى بلاده فرنسا، التى كانت أمه الملكة بلانش تدير شئونها فى غيابه، ولكن مارجريت أشارت على زوجها الملك لويس بالبقاء فى بلاد الشام حتى ينجز عملاً يعيد إليه ماء وجهه، بعد هزيمته النكراء فى مصر[١١٥].

ومما هو جدير بالذكر أنه استمر تتابع وصول الصليبيين وبصحبتهم زوجاتهم بعد خروج لويس التاسع من مصر واتجاهه إلى بلاد الشام، فيروى جوانفيل أنه أثناء وجوده فى بلاد الشام عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، وفد عليهم فارس صليبى وبصحبته زوجته وأبناؤه[١١٦].

ولعل كل هذه القرائن تعكس الدور الذى اضطلعت به المرأة الصليبية فى المجال العسكرى داخل كيان اجتماعى شكلت الحرب حجر الزاوية فيه.

دور المرأة الأوربية فى التجسس والإتصال بحكام المسلمين:

حاول العديد من نساء الفرنجة السيطرة على زمام الأمور فى الممالك الصليبية ببلاد الشام[١١٧]. مستغلات صغر سن الورثة الشرعيين، وفى سبيل تحقيق مصالحهن وأطماعهن فى تسيير دفة الحكم وتحقيق السيطرة والسيادة لم يمتنعن عن طلب المساعدة من حكام المسلمين مقابل إطلاعهم على خطط الصليبيين وتحركاتهم السياسية والعسكرية، مما ساهم فى الإضرار بالمصلحة العامة للحركة الصليبية.

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى، بعد أن تزوج الأمير بوهيموند الثانى صاحب إمارة أنطاكية الصليبية من الأميرة أليس ابنة بلدوين الثانى ملك بيت المقدس (١١١٨-١١٣١) [١١٨].

وأنجبت له طفلة صغيرة هى الأميرة كونستانس، فلما قتل بوهيموند الثانى أرادت الأميرة أليس أن تستأثر بحكم الإمارة وتحرم إبنتها كونستانس صاحبة الحق الشرعى فى الحكم، فقادت ثورة داخلية ضد فولك الأنجوى[١١٩]. زوج أختها الكبرى ميلسندا Melisend[١٢٠]. باعتباره مغتصباً للعرش، ولتحقيق غرضها لم تحجم الأميرة أليس عن التآمر ضد المصالح العامة للصليبيين، فاتصلت بعماد الدين زنكى صاحب حلب[١٢١].

وأرسلت إليه رسالة سرية تطلب مساعدته للوصول إلى حكم أنطاكية مقابل تعهدها بالتبعية له، ومع الرسول هدية وفرس مطهم[١٢٢]. حتى تم إجبارها على ترك زمام السلطة إلى ريموند دى بواتييه، وهو أمير غربى كان من النبلاء المحليين تم استدعاؤه لكى يتزوج من ابنتها كونستانس[١٢٣].

ومثال آخر على ما قامت به المرأة الأوربية من إتصالات مع حكام المسلمين، عندما أخذ السلطان صلاح الدين الأيوبى يتأهب لإنزال ضربته الكبرى بالصليبيين فى حطين، حيث قامت "سيبل" زوجة بوهيموند الثالث أمير أنطاكية[١٢٤] بارتكاب خيانة كبرى ضد القضية الصليبية تحقيقاً لطموحاتها ومصالحها الخاصة، ذلك أنها دأبت عندئذ على إجراء إتصالات سرية مع صلاح الدين، أطلعته فيها على خطط الصليبيين وتحركاتهم، ويذكر المؤرخ أبو شامة: "وكانت امرأة إبرنس أنطاكية تعرف بدام (مدام) سيبل فى موالاة السلطان عينا له على العدو تهاديه وتناصحه وتطلعه على أسرارهم والسلطان يكرمها لذلك ويهدى لها أنفس الهدايا"[١٢٥].

ويعزو جاك دى فيترى السبب الذى مكن صلاح الدين من السيطرة على بيت المقدس وملحقاتها، إلى إنشغال الفرنجة بشئونهم الداخلية، وتدخل النساء فى الحكم[١٢٦]. ويتضح من ذلك أن بعض النساء الصليبيات، كن سبباً فى حدوث المتاعب والمشاكل التى لحقت بالمملكة الصليبية كونها كانت عيناً للمسلمين مقابل حصولها على الهدايا الكثيرة التى كانت تنقصها، والدليل على

ذلك ما جاء فى قصة مدام سيبل التى ذكرت آنفاً.

وقد شاركت المرأة الصليبية فى التجسس وأعمال المخابرات وذلك لما تمتلكه النساء من قدرات جعلتهن يقمن بأعمال لا يستطيع الرجال القيام بها فى هذا المجال، فقد كان للعيون والجواسيس دوراً مؤثراً فى العمليات الحربية وتوجيه المعارك أثناء الصراع الإسلامى الصليبى، وقد اعتمد الصليبيون على بعض النساء فى أعمال التجسس، فعندما قام لص مسلم بسرقة طفل رضيع من إمرأة فرنجية، فعلم ملوكهم خبرها فسمحوا لها بالتوجه إلى السلطان صلاح الدين يقول ابن شداد:

"وذلك أنه كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو فيسرقون منهم حتى الرجال ويخرجون، وكان من قضيتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر، وساروا به حتى أتوا به إلى خيمة السلطان – رحمه الله – وعرضوه عليه، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه، فيخلع عليهم ويعطيهم ما أخذوه، ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور فى طول تلك الليلة حتى وصل خبرها إلى ملوكهم، فقالوا لها: "إنه رحيم القلب، وقد أذنا لك فى الخروج إليه، فاخرجى وأطلبيه منه، فإنه يرده عليك"[١٢٧].

فخرجت تستغيث إلى اليزك الإسلامى[١٢٨]. فأخبرتهم بقصتها عن طريق المترجم، وأخذوها إلى السلطان وتحدثت معه عن طريق المترجم، فبحث لها عن الطفل وتم إحضاره إلى أمه وأخذته وذهبت إلى معسكر الفرنج.

وكان ابن شداد شاهد عيان لهذه الحادثة وروى لنا ما فعلته هذه المرأة حيث يقول: "فأتته وهو راكب على تل الخروبة، وأنا فى خدمته وفى خدمته خلقٍ عظيمٍ، فبكت بكاء شديداً، ومرغت وجهها فى التراب، فسأل عن قصتها، فأخبروه، فرق لها، ودمعت عينه، وأمر بإحضار الرضيع، فمضوا فوجدوه قد بيع فى السوق، فأمر بدفع ثمنه إلى المشترى، وأخذه منه، ولم يزل واقفاً – رحمة الله عليه – حتى أحضر الطفل، وسلم إليها، فأخذته وبكت بكاء شديداً

وضمته إلى صدرها، والناس ينظرون إليها ويبكون، وأنا واقف فى جملتهم، فأرضعته ساعة ثم أمر بها، فحملت على فرس، وألحقت بعسكرهم مع طفلها"[١٢٩].

وكانت هذه المرأة أحد جواسيس الفرنج التى أرسلها ملوكهم مستغلين ما حدث لها للتعرف على أخبار المعسكر الإسلامى وهو ما نجحت فيه، والدليل على ذلك، أنه لم يمكث كثيراً من ذلك اليوم حتى وصل الخبر إلى السلطان بقيام الفرنج بالعزم على الزحف نحو عكا، فعاد السلطان وركب فى ساعته لمواجهتهم.

كذلك فيما روى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أنه برع فى استمالة الفرنجيات بالمال والهدايا، من أجل الحصول على المعلومات الضرورية التى تساعد فى صد الهجوم الصليبى المتوقع على بلاد الشام[١٣٠].

فقد اعتمد الملك المعظم على بعض النساء فى إبلاغه بأخبار الفرنج وأخبار إغارتهم على أراضى الدولة الأيوبية، وذلك عن طريق أنهن إذا شعرن بخروج الفرنج من عكا فتحت المرأة طاقة بيتها المقابلة لجبل الكرمل وأشارت للمسلمين بعدد الجنود الصليبيين الذين سيغيرون على هذه المنطقة وأشارت إلى المكان الذى سيقصدونه، وهو ما جعل الفرنج لا يقصدون مكان، إلا ويجدون عسكر المعظم قد سبقهم إليها[١٣١].

كما ظهر دور المرأة الأوربية فى التجسس أيضاً عندما عزم الأنبرو (الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور ألمانيا أو الإمبراطورية الرومانية المقدسة) على الخروج إلى بلاد الشام، فأرسل فارساً من لدنه يستطلع له الأخبار، وكان هذا الفارس على علاقة بأمرأة فرنجية، علمت منه بعض الأخبار، فأرسلت بها إلى المعظم عيسى، الذى كافأها بملابس حريرية وعنبراً وأشياء كثيرة، فلما عاد الفارس ووجد هذه الهدايا عندها سألها عن مرسلها فأخبرته، فذعر أول الأمر، ولكنها مازالت تلاطفه وتتودد إليه حتى أتفقا، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من

الإمبراطور حمله إليها فترسله إلى المعظم مختوماً كما هو، واستطاع المعظم أن يعرف كل شئ عن الإمبراطور حتى لا يأتى فجأة إلى البلاد(١٣٢).

وفى أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر لم يتورع الملك لويس التاسع ملك فرنسا عن استخدام النساء الفرنسيات كجواسيس لجمع المعلومات عن المعسكر الإسلامى فى أثناء حصاره لمدينة دمياط، من خلال إغرائهن للجنود المسلمين بعد وقوعهن فى الأسر، بما لهن من سحر وفتنة، ولكن الأمر لم يتم حيث كان الجنود المصريون يقومون بقتل الأسيرات الفرنجيات فور وقوعهن فى أيديهم باعتبارهن محاربات يحل قتلهن(١٣٣).

ومما هو جدير بالذكر أنه طوال الفترة التى أقام خلالها الصليبيون فى بلاد الشام، امتلأت المدن الصليبية بالنساء الصليبيات، من ذلك ما يرويه المقريزى: أنه عندما استولى بيبرس على أنطاكية عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، وجد عدد غفير من النساء حيث "اجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد"(١٣٤).

ومن أمثلة العلاقات ما بين نساء الفرنجة وحكام المسلمين فى عصر المماليك ما قامت به مارجريت حاكمة صور، وأشيفا حاكمة بيروت(١٣٥). عندما أخذ السلطان قلاوون يتجهز فى بلاد الشام لشن هجوم على الفرنجة الذين لم يدخلوا فى الهدنة التى انعقدت سنة ١٢٨٣م، فبادرت السيدتان الأرملتان أشيفا ومارجريت اللتان تحكمان صور وبيروت إلى أن تطلبا من قلاوون عقد هدنه فاستجاب لهن(١٣٦).

إمتاع الجنود والترفيه عنهم:

والجانب الآخر الذى قامت به فئة أخرى من النساء الأوربيات منذ الخطوات الأولى للحركة الصليبية، خروجهن لإسعاف الغرباء، وإسعاد الجنود الصليبيين والترفيه عنهم بتسبيل أنفسهن لهم للاستمتاع بهن حتى لا يتسرب الملل إلى نفوس المحاربين فى الغربة.

وقد أشارت المصادر العربية والغربية المعاصرة إلى قيام العاهرات الأوربيات بإمتاع الجنود الصليبيين، لاعتقادهن أن بعملهن ذلك عبادة(١٣٧).

فمنذ أن صحبت المرأة الأوربية الحملات الصليبية على الأرض المقدسة، قام بعضهن ببذل أنفسهن لمتعة الجنود وذلك لاعتقادهن أن ذلك قربه لله، وقد كان الجيش الصليبى الذى حاصر أنطاكية فى الحملة الصليبية الأولى يحتوى على عدد من العاهرات.

وقد تحدث العماد الأصفهانى فى حوادث سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م عن أولئك النسوة الأوربيات اللواتى خرجن من غرب أوربا واتجهن إلى الشرق الإسلامى من أجل ترفيه الجنود الصليبيون بقوله:

"وصلت فى مركب ثلاثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، وقد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، وإغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء... فوصلن وقد سبلن أنفسهن، وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن وذكرن أنهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان"(١٣٨).

ويظهر لنا الأصفهانى من خلال هذه الرواية فساد هؤلاء النسوة وإنحراف أخلاقهن عن الطريق المستقيم، وأن دافعهن لارتكاب الخطيئة، أنهن لا يجدن عملاً يقربهن من الرب غير هذا السلوك المشين.

ويذكر الأصفهانى فى موضع آخر أنهن أقمن فى قباب معروفة معلومة فيقول: "وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب، وانضمت إليهن أترابهن من الحسان الشواب، وفتحن أبواب الملاذ، وسبلن ما بين الأفخاذ، وبحن بالإباحة، ورحن إلى الراحة، وأزحن علة السماحة، ونفقن سوق الفسوق... وعرضن الإمتاع بالمتاع، ودعون الوقاح إلى الوقاع... وزعمن أن هذه قربه ما فوقها قربه، لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربه وعزبه، وسقين الخمر، وطلبن بعين الوزر الأجر"(١٣٩).

ويضيف ابن كثير فيقول: "فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر" ليثبتوا على الحرب والغربة[١٤٠]. والملاحظ أن الكتابات الإسلامية تجعل من المرأة الإفرنجية متحررة إلى حد الميوعة، وقد يكون ذلك قياساً على قيم المجتمع الإسلامى وعاداته، لذلك نجد بعض المؤرخين يسهبون فى ذكر ما يعتبر شاذاً فى مخيلهم الإجتماعى وفى هذا الصدد يطنب الأصفهانى فى ذكر العديد من الصفات التى تصور ميوعة المرأة الإفرنجية، فهى – حسبما يذكره – تتميز بالتبرج والميوعة والتغنج والشبقية، دون أن يخفى ما تميزت به من جمال ربما يكون قد جعلها تنجو نحو مجال الميوعة، فهو يصف قامتها فيذكر أنها "عجراء هيفاء غناء لغاء"، ولم يخف إعجابه بجمالها، فيذكر أنها "تسحر بنظراتها نظارها، وتتثنى كأنها غصن، وتتجلى كأنها حصن"[١٤١].

ولم تكن هذه وجهة نظر المؤرخين العرب فحسب، حيث وصف أمبرويز وهو أحد الأفرنج عادة النساء فى عكا ويافا سنة ٥٩١هـ/ ١١٩١م فقال: "رحن يجررن أذيال الفجور فى تصرفهن الشائن، إذ كن يفدن بالمراكب والزوارق، وهنا يتألم ويقول: رحماك اللهم ! أبمثل هذا السلاح يسترد ميراث الرب"[١٤٢].

أما ول ديورانت فيقول: "لقد قدمت العاهرات للغزاة متعاً أشد خطراً من السكر"[١٤٣]. وكان من مظاهر تدنى مكانة المرأة الصليبية، انتشار أسواق الخمارات وبائعات الهوى فى المدن الصليبية[١٤٤].

بل أكثر من ذلك ما يرويه أحد المؤرخين اللاتين من أن سكان بيت المقدس الفرنج المستوطنين – فترة احتلال الصليبيين للمدينة المقدسة – وحتى الأغنياء منهم كانوا يقدمون أخواتهم وبناتهم وحتى زوجاتهم من أجل متعة زوار المدينة فى سبيل الحصول على المال[١٤٥].

لذلك لا غرابة أن مهنة الدعارة كانت نشطة للغاية، حتى أن العاهرة التى كانت ترافق الجندى فى المعسكر الصليبى تحيا حياة أفضل من ساقى الملك الفرنسى نفسه[١٤٦]. وقد أقر المؤرخون الصليبيون أنفسهم بتواجد ظاهرة الزانيات

والمومسات فى مجتمعهم التى اشتهرت بهم مدينة كبيرة مثل عكا، فقد ذكر جاك دى فيترى أن مدينة عكا كانت تعج ببيوت الدعارة، ولأن المومسات يدفعن أعلى الإيجارات، فلهذا فإنه ليس المدنيون فحسب بل ورجال الدين الذين يقومون بتأجير منازلهم فى جميع أنحاء مدينة عكا للمومسات لما تدر عليهم من أرباح طائلة(١٤٧).

كما كان فى مدينة عكا حى عرف "بالحى الأحمر" الذى حقق شهرة واسعة فى هذا المجال(١٤٨).

ويقدم المؤرخ المجهول الذى رافق الملك ريتشارد فى حملته إلى عكا وصفاً دقيقاً لمجالس الطرب والشراب الذى تدار فيه كؤوس الخمر، وما يصاحبها من لهو ومجون، وانغماس الناس فى الملذات، ووصف الراقصات، وما يتزين به من حلى، وما يرتدينه من ملابس خليعة تظهر مفاتنهن ومحاسنهن "لتبرز من أجسادهن ما يثير شهوة الناظرين"(١٤٩).

ويشير فوقاس إلى إزدحام مدينة عكا بالسكان، وإلى أنها تحتوى ألواناً من الفساد والتحلل الخلقى الناجم عن تدفق أعداد متزايدة من الغرباء، وإن ذلك صاحبه انتشار العديد من الأمراض والأوبئة مما أدى إلى تعدد صور الردى بها(١٥٠).

وربما هذا النص يفسر لنا ما شاهده ابن جبير فى رحلته لتلك المدينة، وذكر أنها "تستعير كفراً وطغياناً، وتفور خنازير وصلباناً زفرة قذرة مملوءة كلها رجساً وعذره"(١٥١).

ومن الملاحظ لكلا النصين السابقين أنهما إتفقا على حقيقة تفشى التحلل الخلقى والرذيلة فى مدينة عكا، ويعود ذلك إلى أنها مدينة ساحلية ولأنها من أهم الموانئ التى تستقبل السفن الصليبية القادمة من الغرب الأوربى بالعاهرات من أجل الترفيه عن الجنود الصليبيين، وكذلك وجود عدد كبير من الفاسقات اللاتى اشتهرت مراكزهن فى المدينة، ومن المنطقى تزايد أعدادهن من خلال

التفسخ الأخلاقى الذى يواكب المجتمعات المحاربة التى تموت فيها الرجال، وتبقى النساء أرامل بعد وفاة أزواجهن، على نحو يفتح الطريق أمام الرذيلة(١٥٢).

ولن نستفيض فى الحديث عن هذه الظاهرة كمشكلة اجتماعية انتشرت فى المجتمع الصليبى فى الشرق. وقد عانى بسببها من مظاهر الانحلال الخلقى وتفشى الرذيلة وانتشار الأمراض، ولكننا سنتناول هذه الظاهرة من الزاوية التى تخص هذه الدراسة وهى مدى تأثيرها السلبى من الناحية العسكرية على المعسكرين الصليبى والإسلامى، فقد كان لهذه الظاهرة تأثير سئ على كلا الطرفين.

أما على الجانب الصليبى، نجد أن الدعارة انتشرت فى صفوف الجيوش الصليبية، فقد لوثن الجيش برذائلهن، وأدت إلى انتشار العديد من الأمراض بين الجنود(١٥٣). فقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على قواتهم العسكرية وخاصة فى زمن الحروب، حيث أرجعوا أن سبب إخفاق الجيش ونكساته فى بعض المواقع كان عائداً إلى النساء، وذلك منذ الخطوات الأولى للحركة الصليبية.

فقد ظهرت الآثار السلبية لهذه المشكلة منذ بدايات الحملة الصليبية الأولى، ويبدو أن وجود العاهرات فى الحملة قد أصاب بعض المؤرخين الغربيين بصدمة، فقالوا إن وجود العاهرات والنساء الفاجرات، والأنواع الإجرامية الأخرى غير الشريفة قد لوثت الجيوش الصليبية وأصبن الجند بعدوى رذائلهن(١٥٤).

ففى أثناء حصار الصليبيين نيقية قاموا بإغلاق دور الدعارة فى معسكرهم، ولكن عندما تابعوا طريقهم إلى أنطاكية عادت المواخير للنشاط من جديد داخل المعسكرات نفسها(١٥٥).

وكثيراً ما ربط الصليبيون هزائمهم بأعمال الفسق والفجور، والآثام التى أرتكبوها، لذلك عمدوا إلى إبعاد النساء العاهرات عن صفوف الجيش، وبعد

إحرازهم النصر أعادوهن مرة ثانية، وقد حدث ذلك عندما حاصر الصليبيون أنطاكية فى الحملة الصليبية الأولى، وكان جيشهم يحتوى على عدد من العاهرات، وعندما حلت الكوارث بهم أرادوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطايا والتوبة إلى الله، فبادروا إلى الصوم لثلاثة أيام، وعملوا على طرد النساء من صفوفهم وإغلاق الحانات. يقول فوشيه الشارترى:

"وأحسسنا بأن هذه الكوارث حلت بالفرنج بسبب خطاياهم، وأنهم لهذا لن يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة، ذلك أنهم فسدوا بسبب الإسراف والجشع والكبرياء والطمع، وبعد عقد اجتماع استشارى، طردوا النساء من المعسكر، سواء المتزوجات أو غير المتزوجات حتى لا يغريهن الطمع فيقمن بعمل يغضب الرب، وحينئذ ذهبت أولئك النسوة للبحث عن أماكن يقمن فيها بالمعسكرات المجاورة"(١٥٦).

وقد أرجع بقية مؤرخو الحملة الصليبية الأولى متاعب الفرنج عند أنطاكية إلى فسوقهم وخطاياهم كما أشار إلى ذلك المؤرخ المجهول(١٥٧). كما وصف ريموندا جيل الصليبيين فى ظروف حصار أنطاكية على أنهم زناة(١٥٨).

ويتضح لنا من ذلك أن القادة الصليبيون اعتقدوا أن التحرر الجنسى سبب الكوارث العسكرية، كما أدعى المؤرخون عن ثقة، ولذلك فإن الخطة الجلية التى قاموا بها لتجنب الهزيمة كانت التطهير الجنسى عن طريق إبعاد العاهرات وربما حتى النساء المتزوجات عن المعسكر قبيل المعارك الحاسمة، وهذا بالفعل ما قام به القواد، فمن أجل تحجيم النوازع الجنسية لدى الجنود وبالتالى إحراز النصر، قام القادة الصليبيون بإبعاد العاهرات والنساء غير المرتبطات فى أوقات الخطر، حتى لا يربكن تحركات الجيش ويشكلن عبئاً عليه.

ومن هنا وجدنا القادة فى أثناء حصار أنطاكية يأمرون بإبعاد النساء حتى المتزوجات من المعسكر لئلا يخضع أزواجهن للرغبة الجنسية فى عشية المعركة.

ومن ذلك أيضاً ما قام به ريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م،

حين غادر عكا متوجهاً نحو عسقلان[١٥٩]، لقتال المسلمين، فقد منع النساء من مرافقة الجيش، واستثنى من ذلك الغسالات، مما أسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم ومعاشرة النساء الساقطات[١٦٠].

فهذا جاك دى فيترى أسقف عكا الذى لا يحب ولا يميل مطلقاً للعاهرات والذى يقول عنهن أنهن السبب فى كل المتاعب والمشاكل، ويتحدث عن ما قامت به إحدى نساء الفرنجة من دس السم لزوجها فى الطعام لتخلص منه كى ترتبط بعشيق لها قدم من الغرب[١٦١]. ونلاحظ أنه بينما حاول رجال الدين وقلة من القادة العلمانيين تحجيم الأنشطة الجنسية للقوات الصليبية، فإن الغالبية العظمى من الجنود لم تنفذ هذه السياسة بحذافيرها، فقد صاحبت الجيوش الصليبية نساء من أنواع عدة، ووقعت بينهن وبين القوات علاقات جنسية منتظمة، وفى الأوقات الحرجة فقط كان لدى القادة، الدينيين والعلمانيين، القدرة على فرض قيود وقتية (طارئة) على الأنشطة الجنسية لاتباعهم، هذه الفترات الحرجة تركزت فى حالة التأهب للالتحامات الكبرى مع العدو، وقد صاحب هذه الفترات أيضاً نشاط استغفارى محموم من الدعاء والصوم وبذل الصدقات وما شابه ذلك.

وقد قام الصليبيون بفرض عقوبات قاسية على جريمة الزنا ويقدم لنا "ألبرت آخن" وصفاً أكثر وضوحاً للعقوبة التى كانت تطبق على المتهمين المتورطين جنسياً، فقد كان "يتم تجريد الزانى والزانية من ملابسهما، ويجبرا على المشى حول الجيش وأيديهما مكبلة خلف ظهريهما، والجلادون يضربونهما بشدة بالعصى حتى يخاف الآخرون من رؤيتهم لتلك المعاملة القاسية، فلا يقعوا فى نفس الجريمة[١٦٢].

وقد ذكر لنا جوانفيل مؤرخ حملة لويس التاسع فى إحدى رواياته أنه ألقى القبض على أحد الفرسان وهو فى دار للدعارة فخير الفارس بين أمرين: إما أن تجره المرأة التى وجد معها عبر المعسكر وهو يرتدى قميصاً فقط، وإما أن يؤخذ

منه حصانه وسيفه ويطرد، فاختار الأمر الثانى[١٦٣].

ويوضح جوانفيل الوضع عشية استيلاء الفرنجة على دمياط عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٨م بأن البارونات قاموا بإعداد الاحتفالات والولائم العظيمة بينما معظم الجيش فقد انصرفوا لمعاشرة الساقطات[١٦٤].

أما على الجانب الإسلامى فقد إنزلق العديد من الجهال والفسقه من جيش المسلمين للتعامل مع الصليبيين من أجل هؤلاء النسوة، ليعلموهم على عورات جيش المسلمين، فقد فتنوا بهن، فكانوا يترددون على تلك الأماكن باستمرار، لضربهن قبابهن بالقرب من معسكر جيش المسلمين[١٦٥].

يقول العماد الأصفهانى: "وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية، وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية، وأبق من المماليك الأغبياء، والمدابير الجهلاء، جماعة جد بهم الهوى، وأتبعوا من غوى، فمنهم من رضى للذة بالذلة، ومنهم من ندم على الذلة فتحيل فى النقلة، فإن يد من لا يرتد لا تمتد، وأمر الهارب إليهم لإتهامه يشتد، وباب الهوى عليه يستد"[١٦٦].

وهذا يعنى أن الصليبيين سعوا جاهدين إلى تفكيك المجتمع المسلم واستخدموا كافة الوسائل لقتال المسلمين حتى النساء للوصول إلى غايتهم ومصالحهم، وكما هو الحال فى كل أجهزة العيون فى العالم وخصوصاً الغربية، لا يوجد طريقة أنجح من استخدام النساء لحرف الشباب المسلم عن المواجهة والحرب والجهاد، وقد أوهمتهم العيون أن ما يقومون به عمل دينى يؤجرون عليه، الأمر الذى يجعلهم أكثر استعداداً وتصميماً على الإيقاع بالجُهال والأغبياء والأشقياء من الشباب المسلم، إلا أن العيون الإسلامية كانت لهم بالمرصاد وكشفت المؤامرة، وحمت المجتمع الإسلامى من حالة الإفساد المتعمدة.

ومن أمثلة انحطاطهم ذلك ما حدث عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م عندما استخدموا إحدى نسائهم فى التفريق بين عمر والى عزاز[١٦٧]. وسيده رضوان

ابن تتش[١٦٨]. صاحب حلب، حيث فتن عمر بها، فسهلت تلك المرأة لإقامة علاقات ودية بين عمر هذا وبين الأمير الصليبى جودفرى دى بوايون[١٦٩]. بتشجيع من الفرنجة، وتشير إحدى الروايات الأوربية إلى أن إحدى عقائل الصليبيين وكانت أرملة لفارس من اللورين، وقعت فى أسر عمر والى عزاز، فهام بها، فلما تعرض عمر لمهاجمة جيوش حلب، أشارت عليه بالاستنجاد بجودفرى، فلبى الدعوة فرحاً[١٧٠].

فكانت النتيجة أن جودفرى غنم مغانم كبيرة من وراء ذلك، ودخول عزاز ضمن ممتلكات جودفرى، فعين عمر حاكماً عليها تابعاً له[١٧١]. ويعلق د.حامد زيان على ذلك قائلاً: "وقد وصلت درجة الإنحطاط لدى الصليبيين أنهم استخدموا إحدى نسائهم فى تسهيل إقامة العلاقات الودية بين عمر هذا وبين الصليبيين"[١٧٢].

النتائج

من خلال دراستنا لموضوع دور المرأة الأوربية العسكرى زمن الحروب الصليبية نستطيع أن نستخلص مجموعة من النتائج على النحو التالى:-

- لم تقتصر الحملة الصليبية الأولى على الرجال فقط، ولم تقبع كل النساء فى بيوتهن بعد رحيل الرجال للشرق، فقد ضمت جيوش الحملة الصليبية الأولى أعداداً كبيرة من النساء من مختلف مستويات المجتمع صحبت الفرسان الصليبيين فهناك زوجات رافقن أزواجهن وراهبات وخادمات وعاهرات ونساء ذات وضع مبهم.
- يعتقد أن الصليبيين خططوا منذ البداية للاستقرار والاستيطان فى الشرق، مما دفع الكثير من نساء الفرنجة الصليبيات إلى البقاء مع أزواجهن ليتناسلوا على هذه الأرض، ليضمنوا لهم البقاء، مما شجع نسائهم على الهجرة إلى الشرق طيلة فترة وجودهم فى تلك الفترة التى دامت أكثر من قرنين منذ أواخر القرن الحادى عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر

الميلادى.

- لعبت المرأة الأوربية دوراً بارزاً فى الحرب الصليبية تتمثل فى جوانب عدة ومنها ما قدمته للجنود الصليبيين من العديد من الخدمات، فكن يساعدن المحاربين فى أثناء المعركة، ويحضرن لهم الطعام والماء، ويسعفن الجرحى، ويستحثنهم على القتال، هذا بالإضافة إلى تلبية احتياجاتهم ومطالبهم الجنسية.
- اشتركت المرأة الأوربية فى العمليات العسكرية أثناء المعارك فكن يلبسن الدروع ويسددن الضربات فى أرض المعركة، وكن يقتدين بالفرسان ويقاتلن ويدافعن عن الحصون والقلاع فى حالة غياب أزواجهن كما ساعدن فى جر آلات الحصار وملئ الخنادق بالماء، وقد وقعت العديد منهن فى أسر المسلمين، كما وجد العديد منهن بين القتلى فى أرض المعركة، كما قامت بعض نساء الفرنجة بتمويل الحرب الصليبية.
- لم يقتصر دور المرأة الأوربية على الشابات فى تقديم الدعم والعون للجنود، فكان لعجائزهن دور لا يقل أهمية فى الأمور العسكرية، وهو رفع الروح المعنوية وتقديم الدعم المعنوى للجنود وتحريضهم على مواصلة القتال والحماسة فى نفوس المقاتلين، ولا يدعن فرصة لوجود الاستسلام مكاناً فى نفوسهم بل كن يعتبرن المشاركة فى القتال عبادة.
- حاول العديد من نساء الفرنجة السيطرة على زمام الأمور فى الممالك الصليبية ببلاد الشام، مستغلات صغر سن الورثة الشرعيين، وفى سبيل تحقيق مصالحهن وأطماعهن فى تسيير دفة الحكم وتحقيق السيطرة والسيادة لم يمتنعن عن طلب المساعدة والاتصال بقادة المسلمين مقابل إطلاعهم على خطط الصليبيين وتحركاتهم السياسية والعسكرية مما ساهم فى الإضرار بالمصلحة العامة للحركة الصليبية، كما أن بعض النساء كان لهن دور فى التجسس على معسكرات المسلمين.

- قامت فئة أخرى من النساء الأوربيات منذ الخطوات الأولى للحركة الصليبية بالخروج لإسعاف الغرباء وإسعاد الجنود الصليبيين والترفيه عنهم بتسبيل أنفسهن لهم للاستمتاع بهن حتى لا يتسرب الملل إلى نفوس المحاربين فى الغربة لاعتقادهن أن بعملهن ذلك عبادة.
- كان لانتشار ظاهرة الدعارة والزنا آثارها السلبية من الناحية العسكرية على المعسكرين الصليبيى والإسلامى فقد انتشرت الدعارة فى صفوف الجيوش الصليبية وكان لها تأثيراً سلبياً على قواتهم العسكرية وخاصة فى زمن الحروب، حيث أرجعوا أن سبب إخفاق الجيش ونكساته فى بعض المواقع كان عائداً إلى النساء، وكثيراً ما ربط الصليبيون هزائمهم بأعمال الفسق والفجور والآثام التى ارتكبوها، لذلك عمدوا إلى إبعاد النساء عن صفوف الجيش خاصة وقت المعارك الحاسمة.
- أما على الجانب الإسلامى فقد انزلق العديد من الجُهال والفسقة من جيش المسلمين للتعامل مع الصليبيين من أجل هؤلاء النسوة ليعلموهم على عورات جيش المسلمين، فقد فتنوا بهن فكانوا يترددون على تلك الأماكن باستمرار لضربهن قبابهن بالقرب من معسكر جيش المسلمين، وهذا يعنى أن الصليبيين استخدموا كافة الوسائل لقتال المسلمين حتى النساء، للوصول إلى غايتهم ومصالحهم.

الهوامـــش

(١) أوربان الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩م/ ٤٨١-٤٩٢هـ) هو الراهب الكلونى الفرنسى أودو دى لاينى Odo de Lagny الكاردينال وأسقف أوستيا Ostia، تولى كرسى البابوية سنة ١٠٨٨م/ ٤٨١هـ تحت اسم "أوربان الثانى" ومات فى يوليو سنة ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ، أنظر. بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية ١٩٩٨م، ص٦٥، حاشية (٤)، عبد السلام زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة أسيوط ٢٠٠٤، ص٤٥، حاشية (٢)،

Guillebaud (J. C.): Sur la Route des Croisade, Arlea 1993, p. 28.

(٢) كليرمونت: هى من المدن الفرنسية الواقعة فى إقليم أوفرين Auvergne جنوب فرنسا، وليم الصورى: الحروب الصليبية، ج١، ص ١٨٦.

(٣) عن خطبة البابا أوربان الثانى فى كليرمونت أنظر. فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٩٢-٩٤، المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٧-١٨، حسن عبد الوهاب حسين: دراسة تحليلية لخطب البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت، بحث منشور فى كتاب نصوص تاريخية، الإسكندرية د.ت، ص ٨٣-٨٤.

Baldwin (M.W.): Christianity Through the Thirteenth Century, London 1970, pp. 225-229.

Rousset (P.): Histoire des Croisades, Paris 1957, p. 15.

(4) Maier (C.): The Roles of Women in the Crusade, p. 70.

، بروندیج (جيمس): الزنا (الدعارة) واختلاط الأجناس والتطهير الجنسى فى الحرب الصليبية الأولى، مقال ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، نشر حسن عبد الوهاب حسين، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ١٧٣.

(٥) سميث (جونثان ريلى): الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحى الشاعر، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٦٩.

(٦) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٣٢١.

(٧) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ٩١-٩٢.

(٨)وليم الصورى: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دمشق ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٦٢.

Michael James: Women and War in the high and Late Middle Ages, p. 72.

(9) Albert of Achen: Historia Hierosolymitana RHC, Occ., IV, pp. 281, 288, 317.

(١٠) آنا كومنينا: ألكسياد، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٤١٥ وما بعدها.

(١١) سميث: المرجع السابق، ص ٩١.

(١٢) تم ذكر المرأة الأوربية فى المصادر العربية باسم "إفرنجية" وهو اشتقاق من "فرنسية" وهذا ما جاء فى تعريف لأبى الفدا: "الإفرنج هم أمم كثيرة وأصل قاعدة بلادهم فرنجة ويقال فرنسة وهى مجاورة لجزيرة الأندلس من شماليها"، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج١، ص ١٣٧. ليس هناك فرق فى التسمية، وإن كانت تلك التسمية لا تقتصر على المرأة الفرنسية فقط، وإنما تشمل جميع النساء الأوربيات اللواتى شاركن فى الحروب الصليبية، وأطلق عليها "الصليبية"، لوضع الصليب على صدورهن، وهذا ما عبر عنه الأصفهانى فى حوادث سنة ٥٨٦هـ/ ١١٨٩م "وعلى لبتها صليب"، العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ١٨٦.

(13) Brahim Elkadiri Boutchich: The image of the Crusade Woman Through Islamic Writings Contemporary With the Crusades, Moroc., pp. 5-9.

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن أسباب الحروب الصليبية أنظر. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٧–٣٩.

(15) Albert of Achen: op. cit., pp. 281, 288.

ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦٥م، ج١٤، ص ١٩؛ زابوروف: الصليبيون فى الشرق، ترجمة إلياس شاهين، موسكو ١٩٨٦م، ص ٥٤.

(١٦) بيثنيا: يقع إقليم بيثنيا فى الركن الشمالى الغربى من آسيا الصغرى فى مواجهة القسطنطينية، أنظر. Ramsay: The Historical Geography of Asia minor, Amsterdam 1962, p. 94.

(١٧) بيسيديا Pisidia تسمى أنطاكية بيسيديا Antioch of Pisidia وتسمى أيضاً Antocheia Colonia وتقع على نهر ماياندر بين بحيرتى Colonia أكريدور وآق شهر، وبجوار مدينتى Neapolis و Apollonia أنظر. ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤، ص ١٨٤–١٨٦.

(١٨) وليم الصورى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٩–٢٥٠.

(19) Baldric of Dol: Historia Jerosolim, p. 57.
Michael James: Women and War, p. 73.
أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، بيروت ١٩٨٩م، ص ٢٥.

(٢٠) نيقية Nicaea: مدينة قديمة يرجع إنشاؤها إلى عام ٣١٦ ق.م، وتقع على بحيرة

إسكانيوس Ascanius (بحيرة أزنيق Iznik) فى واد محاط بجبال قليلة الارتفاع، ولازالت بعض أجزاء من أسوارها القديمة باقية، واتخذها سلاحقة الروم عاصمة لهم منذ تأسيس دولتهم على يد سليمان بن قطلمش، أنظر. ناصر الحسينى: زبدة التواريخ فى أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٤٨، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، ص ٢٥٠.

Finlay: A History of the Greece, vol. 111, p. 108.

وقد ذكر ياقوت الحموى عن نيقية أنها من "أعمال اصطنبول على البر الشرقى، وهى المدينة التى اجتمع بها آباء الملة المسيحية... وهو أول المجامع لهذه الملة "ويقصد بذلك أنها شهدت أول مجمع مسكونى عالمى عام ٣٢٥م، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٥، ص ٣٣٣.

(٢١) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٣٩.

(٢٢) نفس المصدر، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢٣) أنطاكية Antioch أسسها سليوقوس الأول عام ٣٠٠ ق.م تخليداً لذكرى والده أنطيوخوس أحد خلفاء الإسكندر المقدونى، وتقع أنطاكية على الضفة الجنوبية لنهر الأورنت فى سهل يقع بين النهر وجبل حبيب النجار، وفى أقصى الجنوب من المدينة توجد القلعة فى أعلى جبل حبيب النجار، وبالإضافة إلى حصانتها الطبيعية فإنه وجد بها مجموعة من الأبراج، يصفها الجغرافيون المسلمون بأن كل برج فيها كالحصن عليه أبواب حديد، ويشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بالجبل، والأسوار تصعد مع الجبل، مما يزيد من حصانتها، أنظر. ياقوت الحموى: معجم البلدان، م١، ص ٢٦٦-٢٦٧، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان ١٩٨٤، ص ٣٨، حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨-١١٧١م) رسالة ماجستير، آداب الإسكندرية ١٩٨١، ص ٨٢-٨٥.

(٢٤) وليم الصورى: المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٢٥) طرسوس Tarsus أو أنطرطوس Antaradus هى مدينة بين أنطاكية وحلب، كانت من الثغور وتقع على ساحل بحر الشام، أنظر. البلاذرى: فتوح البلدان، ج٣، ص ٧٤٦، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ٢٨، ولها سوران وخندق واسع ولها ست أبواب، أنظر. المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ١٥٢.، البغدادى:

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، ص ٨٨٣.

(٢٦) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ١٨٢.

(27) Michael (James): Women and War, p. 72.

(٢٨) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٣٩٢.

(٢٩) فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة، ص ١١١.

(٣٠) أنظر. وليم الصورى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٣، ٢٧٥، ٤٧٧، ج٢، ص ٦٧.

(٣١) كان ستيفن الإبن الأكبر لثبولد الثالث كونت شمانيا، تزوج آديلا ابنه وليم الفاتح فى عام ١٠٨١م، تلقى ثقافة جيدة وكتب الشعر أيضاً، كما أن الرسائل التى كتبها إلى زوجته خلال الحملة الصليبية الأولى والتى حفظت رسالتان منها هى من أروع الكتابات فى تلك الفترة، أنظر. وليم الصورى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٦ حاشية (٣).

Richard (J.): The Crusades 1071-1291, Cambridge 1999, p. 43.

(٣٢) من الجدير بالذكر أن ستيفن كونت بلوا أرسل إلى زوجته أثناء وجوده بالقسطنطينية خطابين اعترف فيهما بفضل الإمبراطور البيزنطى "ألكسيوس كونين" عليه وعلى كافة أمراء الصليبيين، وشرح لها أن الإمبراطور لم يبخل على الصليبيين بإمدادهم بما يلزمهم من طعام وشراب، كما مدهم بالأموال والهدايا، وتوجد نصوص هذه الرسائل فى كتاب.

Bloss (C.A.): Heroines of the Crusades Muscatine, Iowa, 1852, pp. 109-112 Krey (A.C.): The First Crusade, Minnesota 1958, pp. 100-101.

James Brundage: "An Errant Crusader Stephen of Bolois" in Traditio, 16, 1960, pp. 380-395.

(٣٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت ١٩٩٦م، ج١، ص ٣٦٠، سميث: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(34) Brooke (C.): From Alfred To Henry III, 871-1272, Norton and Company, London 1969, pp. 82-87.

(٣٥)

روبرت النورماندى (١٠٥٤-١١٣٤م) ويدعى أيضاً بروبرت كورثوس Robert Curthose ابن وليم الفاتح الذى استولى على عرش إنجلترا عام ١٠٦٦م، حدثت خلافات أسرية بينه وبين والده، وأخيراً فضل روبرت الابتعاد عن أحداث الغرب مشاركاً فى الحملة الصليبية، فقام برهن ممتلكاته لدى أخيه الملك وليم الثانى روفوس William II Rufus

ومضى مشاركاً فى الحملة الصليبية الأولى، أنظر. توديبود: تاريخ الحملة، ص ٧٤ حاشية (٥)، ريموناجيل: تاريخ الفرنجة، ص ٨١ حاشية (٢)، نظير حسان سعداوى: تاريخ انجلترا فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٠-٣٢.

Duggan (A.): The Story of the Crusades 1097-1291, London 1963, p. 53.
Thompson (J.W): The Middle Ages 300-1500, London 1931, vol. 1, p. 569.

(٣٦) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ٤١. وليم الصورى: تاريخ الأعمال المنجزة، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٦.

Michaud: Histoire des Croisades, 1, p. 178.

(٣٧) لمزيد من التفاصيل حول المجاعة التى واجهها الصليبيون أثناء حصار أنطاكية، أنظر فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٥. وليم الصورى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣٨) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣٩) وليم الصورى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٣١٢-٣١٤.

(٤٠) لمزيد من التفاصيل أنظر. Bloss: Heroines of the Crusades, pp. 105-106، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ١٤١-٢٠٥.

(٤١) هو بلدوين دى بوايون Baldwin de Bouillon اشتهر بالفروسية والخبرة العسكرية، أسس إمارة الرها الصليبية وتولى حكمها حتى وفاة أخيه جودفرى حيث استدعى لحكم بيت المقدس بصفته صاحب الحق فى خلافه أخيه، وتم تتويجه ملكاً عليها فى ديسمبر ١١٠٠م/ صفر ٤٩٤هـ واستمر حكمه حتى عام ١١١٨م (٥١٢هـ)، فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ٨٨-٩١، وليم الصورى: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٤٢) الرملة: من أعمال فلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً، تمتعت بحصانة جيدة حيث كان لها سور حصين من الحجر والجص وعليه أبواب حديدية، اعتمد أهلها على مياه الأمطار حيث بنوا حوض فوق كل منزل لجمع مياه الأمطار، أنظر. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ١١٧، العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٤٦-١٤٨.

(٤٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٦٧-٦٨. سعيد عاشور: المرجع السابق، ج١، ص ٢٤٠-٢٤٣.

(٤٤) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٤٥) شارتر Charters مدينة إلى الجنوب الغربى من باريس، وبلوا Blois إلى الشمال من تور Tours كانت كونتيه ستيفن تشملهما فهو نفسه ستيفن دى شارتر أو دى بلوا.

(٤٦) وليم الصورى: المصدر السابق، ج١، ص ٥٠٣.

(47) Bloss: op. cit, pp. 108-110.

(٤٨) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ١٣٤، ١٧٢. وليم الصورى: المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٨.

(49) Brooke: op. cit.

(٥٠) الدروع: هى عبارة عن غطاء واق لجسم الإنسان أو لأجزاء منه وكذلك لأجزاء من جسم الخيل، وكان المقاتلون يلبسونه فى ساعة المعركة، وأول ما صُنع من الخشب أو الجلد، ثم اتخذ من المعدن وتطور فى العصور الوسطى حتى أصبح يكسو الجسم كله فى كثير من الأحيان، أنظر. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٢، محمود أحمد سليمان عواد: الجيش والقتال فى صدر الإسلام، الأردن ١٩٨٧م، ص ٣٧٠–٣٧١.

(51) Nicholson, Helen: Women on the Third Crusade, Journal of Medieval History 23, 1997, pp. 335-349.

(52) Mclaughlin, Megan: The Woman Worrior: Gender, p. 196.

(٥٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٥٠٩.

(54) Albert of Achen: Historia Hierosatymitena, pp. 408-409.
Michael: Women and War in the High and Late Middle ages Reconsidered, p.76.

(٥٥) ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين المسلمين المؤرخ ابن شداد صاحب كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" الذى كثيراً ما أشار إلى ما يؤكد أنه كان شاهد عيان للأحداث كقوله، "وكنت من جملة الحاضرين" و "كنت فى خدمته" (يقصد السلطان العادل، و "وذكر رسالة يسيرنى فيها الملك العادل إلى السلطان"، و "حضرت لإنشاء عقد الهدنة"، و "توجهت رسولاً". ومما يؤكد مصداقيته أنه حين لا يحضر الحدث، يؤكد ذلك كقوله: "وتأخرت عن حضور هذا الزحف، لما عرانى من مرض"، و "حدثنى بعض الأسرى"، و "هكذا بلغنى على ألسنة الجماعة".

(٥٦) عكا Acre تقع على ساحل بحر الشام، وهى مدينة حصينة كبيرة، لها ثغر كبير ترسو عنده السفن المسافرة إلى أطراف القدس، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ١٤٣–١٤٥، البلاذرى: فتوح البلدان، ج٣، ص ٧٥٢.

(٥٧) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٦٩–٧٠.

(٥٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٣٣٣.

(٥٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٣٥.

(٦٠) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص ٣١٨.

(٦١) القونس: البيضة وجمعها قوانس وهى تقع فى مقدم الرأس وأعلى بيضة الحديد وعظم ناتئ بين أذنى الفرس وجادة الطريق، إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٦٢.

(٦٢) ويعلق العماد الأصفهانى على ذلك قائلاً: "فسبحان الذى أضلهن، ومن نهج النهى أزلهن"، العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٣٤٩.

(٦٣) نفس المصدر والصفحة.

(٦٤) قرية الزيب: هى قرية كنعانية عرفت باسم أكزيب، عرفها الفرنج باسم أمبرت نسبة إلى الفارس الصليبى الذى استولى عليها سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م، تقع على مسافة ١٤ كم شمال عكا، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص ١٦٢.

(٦٥) الأصفهانى: المصدر السابق، ص ٤٣٦، أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ١٦٤.

(٦٦) مجهول: صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص ٢١٧.

(٦٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٣٤.

(٦٨) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس، وبينها وبين عكا يومان، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ١٧.

(٦٩) ريموند الصنجيلى، كان ريموند دى سانت جيل Raymond de Saint Gilles أكبر الأمراء بجنوب فرنسا بحكم جمعه بين كونتيه تولوز وبروفانس، وهما من أغنى بقاع فرنسا، ومن ثم كان أكثر قادة الصليبيين مالا، وشرفه البابا بصحبته لمندوبه أدهمار مرافقاً للحملة، ويعتبر ريموند صاحب الفضل فى تأسيس إمارة طرابلس ووضع إطارها العام وتسهيل مهمة الاستيلاء عليها أمام خلفائه، وقد مات ريموند فى فبراير من عام ١١٠٥م (٤٩٨هـ)، ولمزيد من التفاصيل عن دور ريموند فى الحملة الصليبية الأولى أنظر. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٦٩ وما بعدها.

Hill (J.H.): "Raymond of St. Gilles in Urban's plan of Greek and Latin Friends Ship, Speculum, April 1951, vol. xxvl, pp. 265-278.

(٧٠) العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٨٥.

(٧١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٧٣٦، ٥٠٩.

(٧٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٧١، السيد الباز العرينى: الأيوبيون فى الشرق الأدنى، ص ٩٠، وطرابلس Tripolis هى مدينة على شاطئ بحر الروم، وطرابلس معناها بالرومية والإغريقية الثلاث مدن، لأن طرا معناها ثلاث، وبليطة مدينة، عليها سوء صخر جليل البنيان، وهى على شاطر البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة، ومرساها مأمون من أكثر الرياح وهى كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة فى شرقيها، أنظر. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٤٠٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ٢٥.

(٧٣) العماد الأصفهانى: المصدر السابق، ص ٨٥.

(74) Mayer: The Crusades, pp. 247-248.

وللمزيد أنظر. مجهول: صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص ١٩٣.

(75) Hodgson: Women, Cursading and the Holy Land, p. 48.
Finucane: Soldiers of the Faith, p. 178.
Susan B. Edington and Sarah Lambert: Gendering the Crusades, 98.
T Taier. Christoph: The Roles of Women in the Crusade, p. 65.

(٧٦) كان من عادات الإفرنج فى حروبهم إقامة خنادق حول المدن المحاصرة لمنع زحف المسلمين نحوهم مثل ما وقع فى أثناء حصار مدينة دمياط، أنظر. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٠٥.

(٧٧) Susan B. Edgington, Sarah Lambert: eds. Gendering the Crusades, pp. 89-90.

(٧٨) حصن برزيه: حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب بها المثل فى جميع بلاد الإفرنج بالحصانة، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٣٨٣.

(٧٩) المنجنيق: وجمعه مجانيق، آلة من خشب لقذف الحجر على العدو إلى مسافات بعيدة، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٣٧. وفارسيتها "من جه نيك"، وقال فرنكل: إن الكلمة معربة عن اليونانية، فرنكل: الألفاظ الفارسية، ص ١٤٦. وقد ذكر ابن شداد أن المنجنيق أو المنجوق أو المنجميق والجمع مجانيق ومناجيق ومنجنيقات هى اسم واحد لآلة واحدة، أنظر الأعلاق الخطيرة، ج١، ص ٨٥، ويعرف عن المؤرخين بألة الحرب وهو قاذف الحجارة والحديد والرصاص وكرات النار، يستعمل لهدم الأسوار والحصون وإحراقها فى حالات الحصار، أنظر. محسن محمد حسين: الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، اربيل ١٩٨٦، ص ٣٠٥–٣٠٧، مرفت عثمان: التحصينات الحربية وأدوات القتال فى العصر الأيوبى بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٧١–٢٧٩.

(٨٠) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١٠، ص ٥٤.

(٨١) ويعلق العماد الأصفهانى قائلاً: "فأنظر إلى الإتفاق فى الضلال بين الرجال والنساء، فهن للغيرة على الملة مللن الغيرة، وللنجاة من الحيرة ناحين الحيرة، ولعدم الجلد عن طلب الثأر تجلدن، ولما ضامهن من الأمر تبلهن وتبلدن"، العماد الأصفهانى: المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(82) Baldric of Dol: Historia Jerosalim, p. 107.

(٨٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ١٨٤.

(٨٤) ويعلق ابن الأثير على ذلك قائلاً" على الرغم من جهلهم وفساد عقائدهم ونعوذ بالله من ذلك فهم فى ضلال مبين". نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٨٥) محمود محمد الحويرى: الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٦٥.

(٨٦) العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٣٤٩، أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ١٠٦.

(٨٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٣٣٣.

(٨٨) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥٤.

(٨٩) نفس المصدر، ص ٧٠. أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ١٠٦.

(٩٠) ابن شداد: النوادر السلطانية، ج١، ص ١٦٧.

(٩١) أمبرويز: الحملة الصليبية الثالثة، ص ٢٢٤. مجهول: صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص ٢١٥.

(92) Alpert of Aachen: op. cit., p. 228.

مجهول: أعمال الفرنجة، ص ١١٠، مجهول: صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص ٢٢٢.

(٩٣) العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٢١٦، أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ١٤٧.

(٩٤) هو أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشيزرى، أبو المظفر مؤيد الدولة أمير من أكابر بنى منقذ أصحاب قلعة شيزر القريبة من مدينة حماه، ومن العلماء الشجعان، ولد فى شيزر سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م وسكن دمشق ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٥٤٠هـ، واشترك فى عدة حملات على الصليبيين فى فلسطين، ثم عاد إلى دمشق ومنها إلى حصن كيفا حيث أقام فيه إلى أن ملك السلطان صلاح الدين الأيوبى دمشق فدعاه السلطان إليه فأجابه وقد تجاوز الثمانين، وتوفى فى دمشق سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، للمزيد أنظر. ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المعين، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٠٥.

(٩٥) ابن منقذ: كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى، برنستون ١٩٣٠، ج١، ص ١٢٩.

(٩٦) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفين، وكانت تعرف أولاً بدوسر فتملكها رجل من بنى نمير يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ٣٩٠.

(٩٧) سروج: هى بلدة قريبة من حران من ديار مضر، ياقوت الحموى: المصدر السابق، م٣، ص٢١٦.

(٩٨) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص ١٦٦.

(٩٩) نفس المصدر، ص ١٦٧–١٦٨.

(١٠٠) Powell, James: The Roles of Women in the fifth Crusade, pp. 294-301.

(١٠١) Ibid, p. 300.
Michael: Women and War, p. 74.

(١٠٢) Powell: op. cit., pp. 300-301.
Michael: op. cit., pp. 75-76.

(١٠٣) للمزيد أنظر. جوانفيل: مذكرات جوانفيل، ص ١٠٨.

(١٠٤) هى أبنة ريموند برنجيه، Raymond Berenger كونت بروفانس، وقد تزوج لويس التاسع منها فى سنة ١٢٣٤م، وصاحبته فى حملتيه على مصر والشام، لمزيد من التفاصيل أنظر.

Kitchin: A History of France, Oxford 1899, vol. 1, p. 334.
Christoph: The roles of Women in the Crusade, p. 74.

(١٠٥) لم تشأ الملكة مارجريت دى بروفانس زوجة لويس التاسع أن تتركه يسافر بدونها، فحملت هى الأخرى شارة الصليب، واقتدت بها بعض النبيلات نذكر من بينهن زوجة الأمير روبرت كونت أرتوا، وزوجة الأمير ألفونس كونت بواتييه، أنظر. جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبى على مصر هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور، الإسكندرية ١٩٨٤، ص ٥٩.

وقد جاء فى تحليل الباحث بنيامين كيدار لقائمة الركاب الذين كانوا على ظهر السفينة الصليبية المتوجهة إلى بلاد الشام لدعم قوات لويس التاسع عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، أن عددهم يبلغ ٤٥٣ راكباً، وأن ٩% منهم كانت من النساء، لم يعرف بالضبط ما هى أدوارهن، فقد صحبت خمسة عشرة منهن على يد أزواجهن.

Kedar, Benjamin, Z.: The Passenger List of a Crusader Ship 1250, Towards the History of the Popular Element on the seventh Crusade, Studi Medievali, Series 1972, pp. 272-274.

(١٠٦) جوانفيل: مذكرات جوانفيل، ص ٢٣.

(١٠٧) نفس المصدر، ص ١٣١.

(١٠٨) لمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية السابعة أنظر. جوانفيل: المصدر السابق، وجوزيف نسيم: المرجع السابق.

(١٠٩) جوانفيل: ص ١٤٩، جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(١١٠) توفى يوحنا الحزين وهو على حصار تونس سنة ١٢٧٠م وله من العمر عشرون عاماً، راجع. جوانفيل: المصدر السابق، ص ٢٣.

(١١١) جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(١١٢) نفس المرجع، ص ٢٥٥

(١١٣) جوانفيل: المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

Campbell: The Crusades, London 1935, pp. 430-431, Grousset: Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, Paris 1936, III, pp. 490-1.

(١١٤) جوانفيل: المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٠. راجع كذلك. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٣٦٨.

(١١٥) جوانفيل: المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(١١٦) نفس المصدر، ص ٢٥٩.

(١١٧) تمتعت المرأة الأوربية بإمتيازات واسعة ومكانة مرموقة فى الإمارات الصليبية وشاركت فى مختلف جوانب حياة الصليبيين فى الشرق فى السلطة والحكم، وفى الحرب والجيش، وفى الحياة العامة والاحتفالات، وشغلت دوراً كبيراً فى المجتمع الصليبى سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية فالمرأة أو La dama (مدام) كما يطلق عليها العرب تستطيع أن تحكم الإمارة وتمارس شئون الحكم بسبب الحرية التى نالتها فى مجتمعها، ونعنى بالمرأة الأوربية هنا نساء طبقة النبلاء والفرسان وذلك أن هذه الطبقة هى التى كان بأيديها زمام الأمور فى المجتمع، فى حين أن البرجوازيين والعامة لم يكن لهم رأى فيما يجرى حولهم من أمور، وبالتالى لم يكن لنسائهم دور فى الحياة العامة، حسن عبد الوهاب: مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ١٦٨.

(١١٨) كان للملك بلدوين الثانى أربعة بنات وهن: ميلسندا وأليس Alice، وهوديرنا Hoderen، وإيفيتا Iveta، وكانت ميلسندا أكبرهن، ويحق لها وراثة العرش حيث أن قوانين الوراثة فى مملكة بيت المقدس تنص على أن ينتقل الحكم إلى أكبر الإناث فى حالة عدم وجود ذكر، شرط أن تكون متزوجة وتحكم مناصفة مع زوجها، أنظر. أسامة زكى زيد: "ملكات بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى"،

مجلة كلية الآداب – جامعة طنطا، عدد ٨، يناير ١٩٩٥م، ص ٢٩، صفاء عثمان عبد المنعم: "الملكة ميلسندا (١١٣١–١١٥٣م) وضيفة خاتون (١١٨٥–١٢٤٢م)، دراسة مقارنة"، بحث منشور ضمن كتاب الحروب الصليبية (حركة الاستعمار الأوربى فى العصور الوسطى)، دراسات لتكريم أ.د/ إسحق عبيد، القاهرة ٢٠١٤م، ص ١٣٢.

(١١٩) فولك أوف أنجو Fulk of Anjoy: هو فولك الخامس أنجو، وهو ابن فولك الرابع ريشتش، زار فولك الشرق سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م لقضاء فريضة الحج فأصبحت له معرفة شخصية بالملك الصليبى بلدوين الثانى، وتزوج من إبنته الكبرى ميلسندا ووهبه الملك بلدوين أكبر مدينتين من المدن الساحلية وهما صور وعكا لتكون إقطاعاً له ولزوجته ميلسندا، للمزيد أنظر. وليم الصورى: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠٨–٦٠٩، سرور على عبد المنعم: السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوى (١١٣١–١١٤٣م/ ٥٢٦–٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات – جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٥١–٥٦.

(١٢٠) ميلسندا Melisend: هى كبرى بنات الملك بلدوين الثانى وقد احتلت مكانة كبيرة فى مملكة بيت المقدس، وخاصة بعد أن أعلن والدها قبل وفاته أحقيتها فى وراثة عرش المملكة من بعده، ولقد كانت تشارك أباها فى كثير من شئون المملكة، وقد أفادها ذلك كثيراً وأكسبها خبرة ودراية بشئون الحكم بعد أن أعتلت عرش المملكة بعد وفاته، وكانت ميلسندا تتصف بالورع والتقوى، كما أهتمت بالشئون الدينية وخاصة الهبات الكثيرة التى كانت تمنحها للمؤسسات الدينية، أنظر. وليم الصورى: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٣٦–٦٣٧، أسامة زكى زيد: المرجع السابق، ص ٢٠–٣١.

(١٢١) عماد الدين زنكى بن آق سنقر الحاجب بن عبد الله أبو المظفر الأتابك الملك منصور عماد الدين حاكم حلب وأجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأسقط أول إمارة صليبية فى الشام (الرها) سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٧م، وفى سنة ٥٤١هـ توجه إلى قلعة جعبر على نهر الفرات وحاصرها وأصبح فى إحدى الليالى مقتولاً حيث قتله خادمه وهو نائم على فراشه ودفن بصفين، أنظر. ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٧٤–٧٦، سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين فى الموصل وبلاد الشام، ص ٨٣–٨٥.

(١٢٢) المطهم: من الناس أو الخيل وهو الحسن التام كل شئ منه على حدته، فهو بارع الجمال، ووجه مطهم، أى مجتمع مدور، ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٣٧٢.

(١٢٣) سميث: تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٨١، وقد توفى ريموند دى بواتييه فى إحدى معاركه مع نور الدين، وقد تزوجت

أرملته كونستانس من رينو دى شاتيون، وليم الصورى: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٥٨، ٦٦٣، أمين معلوف: الحروب الصليبية، ص ١٥٤.

(١٢٤) استسلم بوهيموند الثالث أمير أنطاكية لشهواته وأهوائه، ولم يقنع بزوجته البيزنطية الحسناء الأميرة تيودورا كومنين، وإنما تزوج سراً بإمرأة أخرى إسمها أورجيليز Orguelleuse، ثم أعلن زواجه منها عقب طلاق الأميرة البيزنطية سنة ١١٦٨م، ولم يلبث بوهيموند الثالث أن هجر زوجته الثانية كذلك سنة ١١٨٣م ليعيش بين أحضان امرأة ثالثة إسمها سيبل عرفت بسوء السيرة والخلق ولم تتورع عن خيانة بوهيموند – بل الصليبيين عموماً – حيث روى ابن الأثير وأبو شامة أنها كانت تتصل بصلاح الدين وتخبره بتحركات جيوش الفرنجة، أنظر. ابن الأثير: المصدر السابق، حوادث سنة ٥٨٤هـ، أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص١٣١، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٠٣.

(١٢٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣١.

(126) Jcque de Vitry: History of Jerusalem, Trans. B. Stewart, P.P.T.S, London 1961, Vol. XI, pp. 98-99.

(١٢٧) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٥٨.

(١٢٨) اليزك (الاستطلاع): لفظ فارسى، معناه طلائع الجيش فاليزك هو جماعة الاستكشاف التى ترسل إلى جبهة العدو قبل توجه الجيش نحوه ليتعرفوا عن كثب على ما يفعله العدو، أو ينوى القيام به، والمهمة التى يقوم بها عناصر اليزك كانت جزءاً من نظام العيون وإيصال المعلومات العسكرية الآنية إلى قيادة الجيش بالسرعة الممكنة، أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت ١٩٠٨م، ص ١٦٠، حسن محمد حسين: الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٧٧.

(١٢٩) ابن شداد: المصدر السابق، ص ١٥٩.

(١٣٠) جمال الدين الشيال: الجاسوسية فى حروب الصليبيين، مجلة المقتطف سنة ١٩٤١م، ص ٢٤٩.

(١٣١) النويرى: نهاية الإرب فى فنون الأدب، القاهرة ١٩٩٢م، ج٢٩، ص ١٤٥، جمال الدين الشيال: الجاسوسية فى حروب بنى أيوب، ص ٧٦–٧٧.

(١٣٢) النويرى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٤٥–١٤٦، جمال الشيال: المرجع السابق، ص ٧٧.

(١٣٣) جوانفيل: مذكراته، ص ١٠٨، محمود شلبى: حياة شجرة الدر، بيروت ١٩٨٧م، ص ٣٧.

(١٣٤) المقريزى: السلوك، ج١، ص ٥٦٧.

(١٣٥) شاء سوء حظ الصليبيين فى تلك الفترة ألا يظهر بين صفوفهم رجل قوى بعيد النظر يبصرهم بالخطر الذى يتهددهم، ففى صور مات حنادى مونتفورت فى أواخر نوفمبر سنة ١٢٨٣م، ثم لحق به أخوه أونفروى دى مونتفورت حاكم بيروت فى ١٢ فبراير سنة ١٢٨٤م، وبذلك قامت أرملة كل منهما بالوصاية على أملاك زوجها، أنظر. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩٢٥.

(١٣٦) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٦٦٨.

Richard: Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris 1953, pp. 287-292.

(137) Baladric of Dol: Historia Jerosalim, p. 34.

Michael: Women and War, p. 73.

، أمين معلوف: الحروب الصليبية، ص ٢٥.

(١٣٨) العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٣٤٧.

(١٣٩) نفس المصدر، ص ٣٤٧–٣٤٨.

(١٤٠) البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٣٤.

(١٤١) الفتح القسى، ص ٣٤٧.

(١٤٢) أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد، الموسوعة الشاملة، نشر سهيل زكار، دمشق ١٩٩٨م، ج٣٣، ص ٣٥٤–٣٥٦. زكى النقاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت ١٩٥٨م، ص١٥٢.

(١٤٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، م٤، ج١٥، ص٢٣.

(١٤٤) العليمى: الأنس الجليل، ج١، ص ٣٦١، بروندويج (جيمس): الزنا (الدعارة) واختلاط الأجناس والتطهير الجنسى فى الحرب الصليبية الأولى، ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ١٧٤.

(145) Zoé Oldenbourg: The Crusades, p. 519.

ويرسم لنا أسامة بن منقذ الذى زار مختلف المدن والبلاد الخاضعة للحكم الصليبى صورة لأخلاق الصليبيين الذين ماتت الغيرة فى نفوسهم والغيرة على نساءهم والحمية على شرفهم حيث يقول: "... ليس عندهم شئ من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشى هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدثا معاً والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا تأخرت عليه تركها مع المتحدث ومضى".

ويذكر أنه "شاهد حين زار نابلس تاجراً فرنجياً يبيع الخمر، فجاء يوماً ووجد رجلاً مع امرأته فى الفراش فقال له: أى شئ أدخلك إلى بيت امرأتى فقال: كنت تعباناً ودخلت أستريح، فقال: كيف دخلت إلى فراشى، قال: وجدت فراشاً مفروشاً فنمت فيه، قال:

والمرأة نائمة معك، قال الفراش لها وما كنت أستطيع أن أمنعها من فراشها، فقال: وحق دينى إن عدت فعلت كذا خاصمتك"، ويعلق ابن منقذ على تلك الحادثة بقوله: "فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته"، ابن منقذ: كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى، برنستون ١٩٣٠م، ص ٢٤٢-٢٤٣. ليس من شك فى أن هذه القصة تثير الدهشة والاستغراب عند سماعها، كما أنها تشير إلى المستوى الأخلاقى المتدنى عند الصليبيين، على الرغم من إقامتهم فى الشرق إلا أنهم كانوا يتمسكون ببعض العادات والتقاليد البالية، التى تتنافى مع التقاليد والتعاليم الإسلامية التى تتمسك بالفضيلة والشرف.

(١٤٦) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٥٩.

(147) Jacques de Vitry: A History of Jerusalem, vol. XI, p. 62.

(١٤٨) براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن، القاهرة ١٩٨١، ص ٢٢١.

(١٤٩) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص ١٥٣-١٥٤.

(١٥٠) فوقاس: رحلة يونس فوقاس فى الأراضى المقدسة، الموسوعة الشاملة، ترجمة سهيل زكار، دمشق ١٩٩٨م، ج٣٥، ص ٣٨٣، إحسان حلمى الأغا: الأوضاع الاجتماعية فى فلسطين زمن الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب غزة ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(١٥١) ابن جبير: الرحلة، ص ٣٨٣.

(152) Jacques de Vitry: op. cit., p. 62.
(153) Ibid., p. 64.
(154) Albert of Aachien: op. cit., pp. 272-291.

(١٥٥) بروناديج: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(١٥٦) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ١١١.

ويذكر "ألبرت آخن" أن عدة آلاف من النساء المبعدات لجأن إلى مستعمرة محصنة قريبة أقمن فيها حتى استسلمت أنطاكية،

Albert of Aachen: op. cit., p. 365.

(١٥٧) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٥٦.

(١٥٨) ريموناجيل: المصدر السابق، ص ٨٩.

(١٥٩) عسقلان: هى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وجبرين ويقال لها عروس الشام لحسنها، طولها خمسة وخمسون درجة، وعرضها ثلاثة وثلاثون درجة، أنظر. ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص١٢٢، القزوينى: آثار البلاد، ص ٢٢٢.

(١٦٠) أمبرويز: الحملة الصليبية الثالثة، ص ٣٣٥، ديورانت: قصة الحضارة، مج٤، ج١٥، ص ٤٢.

(161) Jaques de Vitry: op. cit, pp. 64.
(162) Albert of Aachen: op. cit., p. 379.

(١٦٣) جوانفيل: مذكراته، ص ١٨٦.

(١٦٤) نفس المصدر، ص ١٠٨.

(١٦٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٣٠٨، أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ١٠٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٣٤، العليمى: الأنس الجليل، ج١، ص ٣٦٢.

(١٦٦) العماد الأصفهانى: الفتح القسى، ص ٣٤٨-٣٤٩، أبو شامة: كتاب الروضتين، ج٤، ص ١٠٠-١٠٦.

(١٦٧) عزاز: بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب بينهما يوم، وهى طيبة الهواء عذبة الماء، ياقوت الحموى: معجم البلدان، م٤، ص ١١٨.

(١٦٨) هو فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود، من ملوك السلاجقة وصاحب حلب، ولد سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م، تولى حكم حلب بعد مقتل أبيه تتش فى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وكان ملكاً جباراً، كريماً، توفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، أنظر. ابن العديم: بغية الطلب، ج٨، ص ٣٦٥٩، ابن شداد: الإعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، دمشق ١٩٦٢م، ج١، ص ١٨.

(١٦٩) جودفرى دى بوايون Godfray de Bouillin هو دوق منطقة اللورين الأدنى الواقعة على نهر الراين، وكان أحد رجال الإمبراطور هنرى الرابع (١٠٥٦-١١٠٦م) وقد تولى جودفرى حكم بيت المقدس بعد الاستيلاء عليها وحمل لقب حامى القبر المقدس، أنظر. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(١٧٠) وليم الصورى: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٢-٢٣. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٣٦٥.

(١٧١) لمزيد من التفاصيل أنظر. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٣٢.

(١٧٢) حامد زيان: الصراع السياسى والعسكرى بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٨٣م، ص٥٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية :

- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على الجزرى (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٢٨م).
  - الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، بيروت ١٩٨٢م.
  - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).
  - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، القاهرة ٦٣-١٩٨٤م.
- ابن جبير: محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
  - الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن إتفاقات الأسفار، بيروت د.ت.
- ابن خرداذبة: أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م).
  - المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
  - العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن شداد: بهاء الدين يوسف (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).
  - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، سلسلة الذخائر ٨٢، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ابن شداد: عز الدين بن أبى عبد الله بن محمد بن على (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).
  - الإعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، تحقيق سامى الدهان، دمشق ١٩٦٢م.
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)
  - زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ٣ أجزاء، تحقيق سامى الدهان، دمشق ٤٥-١٩٥١م.

- بغية الطلب فى تاريخ حلب، ١١ جزء، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨م.
- ابن القلانسى: أبى يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م).
  - ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشى (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
  - البداية والنهاية، ١٢ جزء، بيروت ١٩٧٧م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
  - لسان العرب، بيروت، د.ت.
- ابن منقذ: أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).
  - كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، برنستون ١٩٣٠م.
- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).
  - مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ٥٣–١٩٥٧م.
- ابو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م).
  - كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد، القاهرة ١٩٦٥م. وتحقيق إبراهيم الزيبق، جزءان، بيروت ١٩٩٧م.
  - تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، بيروت ٢٠٠٢م.
- ابو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).
  - المختصر فى أخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة ١٣٢٥هـ.

- الأصفهانى: عماد الدين بن محمد بن حامد المشهور بالعماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).
  - الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد محمود صبح، سلسلة الذخائر ٩٠، القاهرة ٢٠٠٣م.
- البغدادى: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).
  - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٥ أجزاء، ليدن ١٨٥٤م.
- البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
  - فتوح البلدان، نشر صلاح الدين المنجد، القاهرة د.ت.
- الحسينى: أبو الحسن على بن ناصر (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٤م).
  - زبدة التواريخ فى أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، بيروت ١٩٨٥م.
- الحميرى: محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).
  - الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان ١٩٨٤م.
- العليمى: أبو اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م).
  - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد الحميد، الخليل ١٩٩٩م.
- العمرى: شهاب الدين ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
  - مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق دوروتيا كرافولسكى، بيروت ١٩٨٦م. وتحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨٥.
- القزوينى: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
  - آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٧٩م.

- القلقشندى: أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
  - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزء، القاهرة ١٩-١٩٢٢م.
- المقدسى: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م).
  - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٩م.
- المقريزى: تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤م.
- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).
  - نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٩، القاهرة ١٩٩٢م.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
  - معجم البلدان، ٥ مجلدات، بيروت ٧٩-١٩٨٦م.

ثانيا: المصادر الأجنبية والمعربة:

- Albert of Aachen: Historian Jerosalimitana, History of the Journey to Jerusalem, ed., and Trans, Susan, B. Edging Ton Oxford, 2007.
- Jacques de Vitry: A History of Jerusalem, Trans. By Stewart, P.P.T.S., vol. XI, London 1961.
- أمبرويز: الحروب الصليبية، صليبية ريتشارد قلب الأسد، جزءان، المجموعة الشاملة، ترجمة سهيل زكار، ج٣٢، دمشق ١٩٩٨م.
- آنا كومنينا: ألكسياد، الموسوعة الشاملة، تحقيق سهيل زكار، ج٦، دمشق ١٩٩٥م.
  - ، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٤م.
- توديبود (بطرس): تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية ١٩٩٢م.

- جوانفيل (جان): حياة القديس لويس وحملاته على مصر والشام، مذكرات جان سير دى جوانفيل، ترجمة وتعليق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٨م.
- ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية ١٩٨٩م.
- فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلى، بيروت ١٩٩٠م.
- الإستيطان الصليبى فى فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠١م.
- فوقاس: رحلة يونس فوقاس فى الأرض المقدسة، الموسوعة الشاملة، ترجمة سهيل زكار، ج٣٥، دمشق ١٩٩٨م.

- المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٠م.
- وليم الصورى: الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٩١-١٩٩٥م.
- ، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، جزءان، دمشق ١٩٩٠م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- إحسان حلمى الأغا: الأوضاع الاجتماعية فى فلسطين زمن الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب غزة ٢٠٠٧م.
- أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت ١٩٠٨م.
- أسامة زكى زيد: "ملكات بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى"، مجلة كلية الآداب – جامعة طنطا، عدد (٨)، يناير ١٩٩٥م.
- أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، بيروت ١٩٨٩م.
- براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن، القاهرة ١٩٨١م.
- جمال الدين الشيال: "الجاسوسية فى حروب الصليبيين" مجلة المقتطف، سنة ١٩٤١م.
- جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبى على مصر هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور، الإسكندرية ١٩٨٤م.
- حامد زيان غانم: الصراع السياسى والعسكرى بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٨٣م.
- حسن عبد الوهاب حسين: مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، الإسكندرية ١٩٩٩م.
- "دراسة تحليلية لخطب البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت"، بحث منشور فى كتاب نصوص تاريخية، الإسكندرية د.ت.

- حسن محمد حسين: الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، بيروت ١٩٨٦م.
- حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨-١١٧١م)، رسالة ماجستير، آداب الإسكندرية ١٩٨١م.
- ديورانت (ول): قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦٥م.
- رنسيمان (ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت ١٩٩٦م.
- زابوروف (ميخائيل): الصليبيون فى الشرق، ترجمة إلياس شاهين، موسكو ١٩٨٦م.
- زكى النقاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت ١٩٥٨م.
- سرور على عبد المنعم على: السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوى (١١٣١-١١٤٣م/ ٥٢٦-٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات عين شمس، القاهرة ٢٠٠١م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة ٢٠٠٢م.
- سميث (جونثان ريلى): الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحى الشاعر، القاهرة ١٩٩٩م.
- تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠٧م.
- سهيل زكار: الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ٩٥ – ١٩٩٨م.

- السيد الباز العرينى: الشرق الأدنى فى العصور الوسطى الأيوبيون، القاهرة د.ت.
- صفاء عثمان عبد المنعم: "الملكة ميلسندا (١١٣١-١١٥٣م)، وضيفة خاتون (١١٨٥-١٢٤٢م)، دراسة مقارنة"، بحث منشور ضمن كتاب الحروب الصليبية، (حركة الاستعمار الأوربى فى العصور الوسطى)، دراسات لتكريم أ.د. إسحق عبيد، القاهرة ٢٠١٤م.
- عبد السلام زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب أسيوط ٢٠٠٤م.
- لسترنج (كى): بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤م.
- محسن محمد حسين: الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، أربيل ١٩٨٦م.
- محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى، بيروت ١٩٨٦م.
- محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود أحمد سليمان عواد: الجيش والقتال فى صدر الإسلام، الأردن ١٩٨٧م.
- محمود شلبى: حياة شجرة الدر، بيروت ١٩٨٧م.
- محمود محمد الحويرى: الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة ١٩٧٩م.
- مرفت عثمان: التحصينات الحربية وأدوات القتال فى العصر الأيوبى

بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠٩م.

- نظير حسان سعداوى: تاريخ انجلترا فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٥٨م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Baldwin (M.W.): Christianity Through The Thirteenth Century, London 1970.
- Bloss (C.A.): Heroines of the Crusades Muscatine, Iowa 1852.
- Brahim El Kadiri Boutchich: The Image of the Crusade Woman Through Islamic Writings Contemporary with the Crusades, Moroc.
- Brooke (C.): From Alfred to Henry III, 871-1272, Norton and Company, London 1969.
- Brundage (James): "An Errant Crusader Stephen of Bolois" in Traditio, 16, 1960.
- Campbell (G.A.): The Crusades, London 1935.
- Christoph (Maier): The Roles of Women in the Crusade Movement: A Survey Journal of Medieval History 30, 2004.
- Duggan (A.): The Story of the Crusades 1097-1291, London 1963.
- Finlay: A History of the Greece
- Finucane: Soldiers of the Faith
- Grousset: Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 vols, Paris 1936.
- Guilleboud (J.C.): Sur La Route des Croisade, Arlea 1993.
- Hill (J.H.): "Raymond of St. Gilles in Urban's Plan of Greek and

Latin Friends Ship", Speculum, vol. XXVI, April 1951.

- Hodgeson, Natasha, R.: Women Crusading and the Holy Land in Historical Narrative, Wood Bridge, Boydell 2007.
- Kedar, Benjamin, Z.: The Passenger List of a Crusader Ship 1250: Towards The History of the Popular Element on the Seventh Crusade, Studi Medievali, Series 1972.
- Kitchin (G.W.): A History of France, Oxford 1899.
- Krey (A.C.): The First Crusade, Minnesota 1958.
- Mayer (H.E.): The Crusades, London 1978.
- McLaughlin, Megan: The Women Warrior Gender.
- Michael (James) Illston: An Entirely Masculine Activity ? Women and War in the High and Late Middle Ages Reconsidered A Thesis Submitted in Fulfillment of the Reqiurements for the Degree of Master of Arts in History, Department of History, University of Canterbury 2009.
- Miller: The Latin in the Levant, London 1908.
- Nicholson Helen: Women on the Third Crusade, Journal of Medieval History 23, 1997.
- Powell, James, M.: The Role of Women on the Fifth Crusade, in the Horns of Hattin, ed. B.Z. Kedar, London: Wariorum, Jerusalem, Yad IZ Hok Ben-Zvi and Israel Exploration Society 1992.
- Ramsay: The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam 1962.
- Rausset (P.): Histoire des Croisades, Paris 1957.
-

Richard (J.): Le Rayaume Latin de Jerusalem, Paris 1953.

- The Crusade, Cambridge 1999.

- Setton (K.M.): A History of the Crusades, Pensylvania 1958.
- Susan, B. Edington and Sarah: Lambert Gendering the Crusades, 98.
- Taier, T. Christoph: The Roles of Women in the Crusade.
- Thompson (J.W.): The Middle Ages 300-1500, London 1931.
- Zoé Oldenbourg: The Crusades, New York 1966.